مجلة فصلية تُعنى
بالمعرفة الدينية والثقافية

تصدر عن
العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الدراسات والنشرات

العدد العاشر/السنة الرابعة
شهر رمضان المبارك ١٤٤١هـ - ايار ٢٠٢٠م

اوراق معرفية

المشرف العام

السيد أحمد الصافي

رئيس التحرير

السيد ليث الموسوي

هيأة التحرير

بدر العلي

حسن الجوادي

مهند السهلاني

التدقيق اللغوي

مصطفى كامل محمود - عمار كريم السلامي

التصميم والإخراج الفني

علاء سعيد الأسدي

المحتويات

١٠ أسلوب ائمة أهل البيت في المحكم والمتشابه
السيد محمد حسين الطباطبائي

١٢ المكر الإلهي
الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

١٤ التورية والرمز في القرآن الكريم
محمود البستاني

١٨ إعجاز القرآن
د. الشيخ عبد الهادي الفضلي

٢٢ منهج التثبت في شأن الدين
السيد محمد باقر السيستاني

٢٦ ضرورات الدين والمذهب
الشيخ محمد جواد مغنية

٢٩ الدين واحد والشرائع متعدّدة
الشيخ محمد السند

٣٢ حجية الظن في الاصول الاعتقادية
السيد ابو القاسم الخوئي

٣٥ كيفية تكوّن الهلال؟
الشيخ جعفر السبحاني

٣٩ حجية القرآن الشريف
الشيخ هادي كاشف الغطاء

٤١ شيخوخة الاجازة
الشيخ باقر الاراواني

٤٦ علي عليه السلام منقذ الموقف
السيد زهير الاعرجي

٤٨ التاريخ الصحيح
العلامة الاميني

٥١ جُغرافية كربلاء القديمة
السيد هبة الدين الشهرستاني

٥٣ فزت ورب الكعبة
الشيخ باقر شريف القرشي

٥٦ الطريق الذي يؤدّي إلى السعادة
د. علي القائمي

٦٠ مرض جفاف القلب
السيد منير الخباز

٦٤ المحيط التربوي
محمد تقي فلسفي

٦٦ التقوى والزهد والتنمية الاقتصادية
الشيخ محمد الريشهري

٧٠ التنكيت
ابن أبي الإصبع

٧٢ نشأة الخطّ العربي
الشيخ محمد هادي معرفة

٧٤ في رثاء الامام الكاظم عليه السلام
السيد محمد جمال الهاشمي

٧٦ في مولد ابي محمد الحسن السبط
الشيخ محمد حسين الأصفهاني

الورقة الأولى ...

منذ أن ارتأينا إصدار هذه الأوراق المعرفية كان هدفنا وسعينا اعادة بعض جواهر العلماء- التي زينت المكاتب الإسلامية والفكرية بثروات علمية هائلة- أولاً لنعيد معها اسم كتاب أو موسوعة أو عالم أو محقق أو فيلسوف، ونُذكر به أمتنا، وتُفكر بأن ما وصلت إليه اليوم من شأن ورفعة كان لرجال عظماء بذلوا الغالي والنفيس من أجل ان نرتقي اليوم لهذه المكانة، ويكون فكرنا وحضارتنا في طليعة الحضارات والثقافات العالمية التي ينتهل منها العالم اليوم.

ثانياً لنشر ما نرى فيه الفائدة من اعادة نشره من المواضيع التي تتوسط الموسوعات والأجزاء العلمية الضخمة، لا سيما نحن في زمن قد قل فيه قراء الموسوعات والاجزاء الكبيرة، فأردنا من خلال أوراقنا ايصال هذه الجواهر والدرر والآثار لمن يبحث عنها، والتعريف بأصحابها .. وكيف جدوا واجتهدوا في سبيل اخراجها لنا بهذه الحلة الجميلة المفيدة، لذا قالوا عن هذا الجهد أنه (تراث مجد وحياة).

فهو مجد بما حقق للبشرية في القرون الماضية من تقدم وإسعاد للإنسانية، وهو حياة بما أننا أمة لها ماض عريق ـ لا يمكن لعاقل أن يفرط به ـ وهو ماض حي؛ لأن فيه حياة البشرية ونجاتها، كونه فيضاً إلهياً قد حبى الأمة به، ومسيرة خير خطها رسول الله ﷺ وأهل بيته الأطهار، حتى يظهر دين الحق على الدين كله كما قال تعالى : ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾ [التوبة: ٣٣] .

أسلوب ائمة أهل البيت في المحكم والمتشابه

السيد محمد حسين الطباطبائي

المكر الإلهي

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

التورية والرمز في القرآن الكريم

محمود البستاني

إعجاز القرآن

د. الشيخ عبد الهادي الفضلي

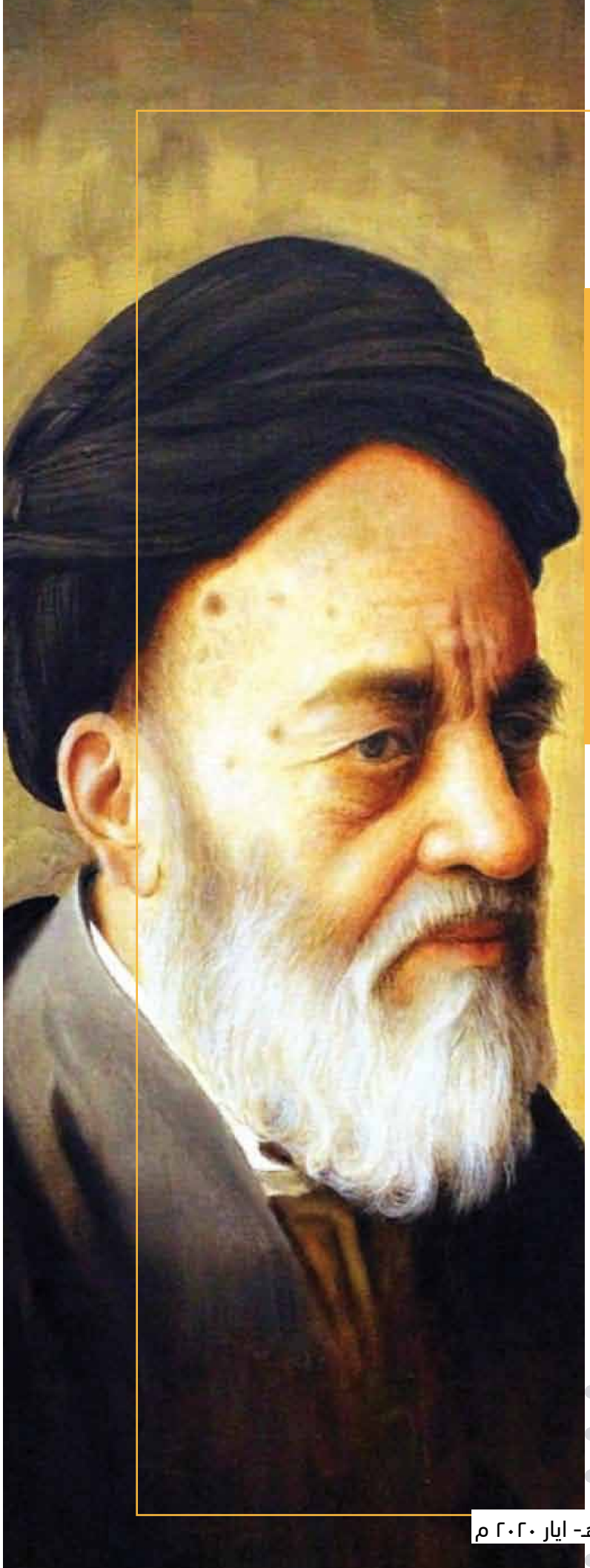

أسلوب ائمة أهل البيت عليهم السلام في المحكم والمتشابه

السيد محمد حسين الطباطبائي

ما نفهمه من ملخص ما أثر عن أئمة اهل البيت عليهم السلام هو نفي وجود آية متشابهة لا يمكن معرفة مدلولها الحقيقي، بل الآيات التي لم تستقل في مداليلها الحقيقية يمكن معرفة تلك المداليل بواسطة آيات أخرى، وهذا معنى ارجاع المحكم الى المتشابه. فإن ظاهر قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه: ٥] وقوله ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ**﴾ [الفجر: ٢٢] يدل على الجسمية وأن الله تعالى مادة، ولكن لو أرجعناهما إلى قوله ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشورى: ١١] علمنا أن الاستواء والمجيء ليسا بمعنى الاستقرار في مكان أو الانتقال من مكان إلى مكان آخر.

قال النبي صلى الله عليه وآله وهو يصف القرآن الكريم: «**وان القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضا، ولكن نزل يصدق بعضه بعضا، فما عرفتم فاعملوا به وما تشابه عليكم فآمنوا به**»(١)، وقال الإمام علي عليه السلام: «**يشهد بعضه على بعض وينطق بعضه ببعض**»(٢).

ونقل عن الامام الرضا عليه السلام انه قال: «**من رد متشابه القرآن إلى محكمه هدي إلى صراط مستقيم**»(٣)، ثم قال: «**ان في اخبارنا تشابها كمتشابه القرآن فردوا متشابهها إلى محكمها ولا تتبعوا متشابهها فتضلوا**»(٤).

ان هذه الأحاديث وخاصة الأخيرة منها صريحة في أن الآيات المتشابهة هي الآيات التي لا تستقل في مدلولها، بل لابد من ردها إلى الآيات المحكمة، ومعنى هذا -كما أسلفنا- أنه ليس في القرآن آية لا يمكن معرفة معناها بطريق من الطرق.

[القرآن في الاسلام]

(١) الدر المنثور ٢/ ٨.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٣١.
(٣) تفسير العياشي ١/ ١٦٢.
(٤) عيون الأخبار ١/ ١٩٠.

المكر الإلهي

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾

الاعراف:٩٩

و (المكر) يعني في اللغة العربية كل حيلة ووسيلة لصرف الشخص عن الهدف الذي يمضي إليه، سواء كان حقاً أم باطلاً، وقد أخذ في مفهوم هذه اللفظة نوع من التدرج والنفوذ التدريجي.

وعلى هذا فالمراد من المكر الإلهي، هو أنّ الله تعالى يصرفهم بخططه القوية التي لا تقهر عن حياة الرفاه واللذة دون اختيارهم ويقطعها عليهم. وهذه إشارة إلى العقوبات الإلهية الفجائية والمهلكة.

جواب عن سؤال:

إنّ الجملة التي وردت في ختام الآية الحاضرة تقول: لا يأمن أحد ـ إلّا الخاسرون ـ من المكر الإلهي والعقوبة الإلهية، وهنا يطرح هذا السؤال، وهو: هل تشمل هذه العبارة الأنبياء والأئمّة العظام والصالحين؟

لقد تصوّر البعض أنّهم خارجون من هذا الحكم، وأنّ الآية تختص بالمجرمين. ولكن الظاهر أن هذا الحكم عام يشمل الجميع؛ لأنّه حتى الأنبياء والأئمّة كانوا مراقبين لأعمالهم دائماً كي لا تصدر عنهم أدنى زلة أو عثرة، لأنّنا

نعلم أن مقام العصمة ليس مفهومه أن المعصية مستحيلة عليهم، بل يعني أنّهم مصونون عن الإثمّ والمعصية بفعل إرادتهم وإيمانهم وحسن إختيارهم، إلى جانب العنايات الربانية.

إنّهم كانوا يخافون من ترك الأولى ويتجنبونه، ويخشون أن لا يتمكنوا من القيام بمسؤولياتهم الثقيلة. ولهذا نقرأ في الآية (١٥) من سورة الأنعام حول الرّسول الأعظم ﴿**قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾.

ولقد رويت في تفسير الآية الحاضرة ـ أيضاً ـ أحاديث تؤيد ما قلناه: «صليت خلف أبي عبدالله (الصادق)عليه السلام، فسمعته يقول: «**اللهم لا تؤمني مكرك**. ثمّ جهر فقال: ﴿**فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**﴾».

ونقرأ في نهج البلاغة أيضاً: «**لا تأمنن على خير هذه الأُمّة عذاب الله، لقول الله سبحانه: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾**»[1]

إنّ عدم الأمن من المكر الإلهي ـ في الحقيقة ـ يعني الخوف من المسؤوليات والخوف من التقصير فيها، ومن المعلوم أن الخوف يجب أن يكون في قلوب المؤمنين دائماً إلى جانب الأمل بالرحمة الإلهية بشكل متساوٍ، وأن التوازن بين هذين هو منشأ كلّ حركة ونشاط، وهو الذي يعبّر عنه في الرّوايات بالخوف والرجاء.

وقد جاء التصريح في هذه الرّوايات بوجوب أن يكون المؤمنون دائماً بين الخوف والرجاء، ولكن المجرمين الخاسرين نسوا العقوبات الإلهية بحيث صاروا يرون أنفسهم في منتهى الأمن من المكر الإلهي.

وفي الآية اللاحقة يقول القرآن الكريم ـ بهدف إيقاظ عقول الشعوب الغافية وإلفات نظرهم إلى العبر التي كانت في حياة الماضين: ألا يتنبه الذين ورثوا السيادة على الأرض ـ من الأقوام الماضية ـ إلى ما في حياة الماضين وقصصهم من عبر، فلو أنّنا أردنا أن نهلكهم بذنوبهم لفعلنا ﴿**أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ**﴾.

ويمكننا أيضاً أن نتركهم أحياء ونسلب منهم الشعور وحس التشخيص والتمييز بالمرّة بسبب توغّلهم في الذنوب، بحيث لا يسمعون معها حقيقة، ولا يقبلون نصيحة، ويعيشون بقية حياتهم حيارى ﴿**وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ**﴾.

[تفسير الأمثل]

---

(١) نهج البلاغة : الكلمات القصار ، الكلمة ٣٧٧.

التورية والرمز في القرآن الكريم

محمود البستاني

اعتاد البلاغيون القدامى أن يدرجوا أحد أشكال التركيب الصوري ونعني به التورية ضمن ما يصطلح عليه مصطلح البديع، أي مجرد تزيين أو حلية للعبارة، ولكن هذا الرأي ليس بصائب؛ لأن التورية في الواقع لا تختلف عن أي تركيب صوري ينتج من ظاهرتين تنتج ظاهرة ثالثة، وهذا ما دفعنا الى أن نجعلها أحد أشكال الصورة القرآنية، حيث يمكن تعريفها على النحو الآتي، التورية هي (إحداث علاقة بين طرفين من خلال جعل أحدهما متضمناً

دالاً غائباً وهو المستهدف، والآخر يتضمن دالاً حاضراً غير مستهدف)، وإذا أردنا أن نستعير اللغة البلاغية القديمة نقول: إن التورية هي : (إحداث علاقة بين الشيئين أحدهما يتضمن دلالة بعيدة وهي المستهدفة، والآخر دلالة قريبة وهي غير المستهدفة)، ومثاله من النص القرآني المعجز والمدهش قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ**﴾ [الأنعام: ٣٦].

ان النص يتحدث عن المنحرفين المعاصرين لرسالة الإسلام،حيث ألمح الى أن الذي يستجيب لرسالة الإسلام هو من يمتلك سمعاً سليماً فيتبع أحسن القول ، وأما المنحرفون ففي آذانهم وقر لا يسمعون . طبيعياً لم يقرر القرآن هذه الدلالات مباشرة، بل سلك سبيل الفن فرمز الى المنحرفين وهم لا يمتلكون سمعا سليماً، بأنهم موتى، والموتى يبعثون دون أدنى شك كما هو معلوم، ويحاسبون في اليوم الآخر، ولكن هل أن النص قصد بذلك مطلق الموتى، الذين يبعثون ويحاسبون ويجازون كما هو الملاحظ مثلاً في الموتى العاديين ؟ طبعاً لا، بل قصد من ذلك شريحة خاصة ممن لم يسمعوا كلام النبي مقابل الذين قال النص عنهم إنما يستجيب الذين يسمعون، وبذلك يكون النص وفق المصطلح البلاغي، أراد من اللفظ معناه الموتى في اليوم الآخر؛ لأن الموتى يبعثون جميعاً ولا ينسحب ذلك على المنحرفين فقط .

على أية حال هناك صور متنوعة أخرى أوصلناها الى اثني عشر قسماً من الصور البلاغية، وقد أثبتناها أكثر من مرة في كتابنا من أمثال الإسلام والفن، الإسلام والأدب، القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الاسلامي، وأخيراً هناك كتاب خاص يتضمن مئات الصفحات وكلها تتحدث عن العنصر الصوري في القرآن بخاصة ونعني به كتاب دراسات الصور الفنية في القرآن، يجدر بالقارئ أن يعود اليه في حالة ما يستهدف الوقوف على هذا الجانب . اخيراً : قبل أن نختم حديثنا عن العنصر الصوري، يجدر بنا أن نتحدث مجملاً عن الصياغة القرآنية لهذا الجانب وافتراقها عن الصياغة البشرية .

فنقول : إن الصورة كما لاحظناها تترتب من ظاهرتين لا علاقة لهما بدنيا الواقع ولكنها تنتج ظاهرة ثالثة، وإذا عدنا الى الاستشهاد الذي كررناه دائماً وهو قوله تعالى بالنسبة الى الكفار بأنهم كالأنعام، نقول : هاتان الظاهرتان وهي الكفار والأنعام لا علاقة لهما، أو لا علاقة بينهما في دنيا الواقع، لأن الحيوان عضوية خاصة والبشر عضوية خاصة إلا أن الصورة التشبيهية واكبت بينهما، أو أحدثت علاقة بينهما، من خلال العنصر

العقلي المفقود أو المتدني عند الطرفين، هذا يعني أن الصورة بشكل عام تعتمد على عنصر تخيلي يحدث علاقة بين الطرفين، بيد أن الملاحظة وهذا هو أهم جانب من جوانب القرآن الكريم حيث يكثر بدوره عن الإعجاز القرآني الكريم، فكما لاحظنا عند حديثنا عن القصة القرآنية الكريمة، قلنا إن القصة القرآنية تختلف عن القصة البشرية في كونها لا تصطنع أحداثاً وهمية بقدر ما تتحدث عن الواقع من خلال الصياغة الفنية له، وهكذا عندما يتجه القرآن الكريم الى العنصر الذي يجسد إما واقعاً حسياً، أو واقعاً نفسياً، او واقعاً غيبياً، فالواقع كما يمكن أن نلاحظه هو ما يمكن رصده من جوهر معرفتنا بمبادئ الإسلام حيث يكون إما (حسياً) يعتمد الحواس المعروفة من بصر وسمع، أو يكون (نفسياً) يعتمد طبيعة الاستجابات التي تصدر عنها حيال حقيقة من حقائق الحياة، بحيث تنعكس في الواقع النفسي لا حقيقة في الواقع الخارجي، وإما أن يكون (غيبياً) لا يخضع لحواسنا، بقدر ما يخضع لتصوراتنا الذهنية عنه، وهذا من نحو عوالم الغيب التي تحدثنا النصوص الإسلامية عنه .

ولعلنا إذا تذكرنا العنصر التخيلي الذي يعتمد البشر، نجد أن هذا العنصر في الواقع إما أن يعتمد في كثير من حالاته بطبيعة الحال على عنصر وهمي صرف، أو على عنصر لا يمكن تحققه في عالم الواقع، وقد استشهدنا في كثير من كتبنا ودراستنا بنموذج يشكل هذه الظاهرة المنطوية على المفارقة متمثلة في تشبيه أحد الشعراء الموروثين مثلاً لقائد عسكري يشبهه بأنه أي بأن هذا القائد كان من البطولة لدرجة أن النطف التي لم تخلق بعد تخاف منه، إن هذا التصوير، أو إن هذه الصورة تظل صورة وهمية لا قيمة لها البتة، إنها وهم صرف؛ لأن الطفل وهو نطفة لا يحس بشيء، ولا يتعقل شيئاً، ولا يفهم ماذا يجري من الخارج وحينئذ لا توجد أية علاقة بين هذا الجنين أو النطفة وبين هذا البطل، صحيح عندما يشبه الكافر بالحيوان حينئذ فإن ثمة نقطة مشتركة فيهما هي النقطة الواقعية؛ لأن الانحطاط الذهني لدى الكافر وهو لا يستطيع أن يربط بين السبب والمسبب، حينئذ ما الفارق بينه وبين الحيوان؟ لا فارق بل هو أي الكافر أشد ضلالاً من الأنعام؛ لأن الأنعام لا تملك هذه القابلية بينما يمتلكها الإنسان لكنه لا يستخدمها في ذهنه .

إذن : لابد من وجود عنصر مشترك يجسد واقعاً، ولا يجسد وهماً كالصورة التي استشهدنا بها بالنسبة الى أحد الشعراء .

من هنا نجد أن القرآن الكريم حين يلتجئ الى عنصر الصورة فهو متلجئ اليها بأشكالها

المتنوعة التي قد يكون لها واقع حسي، في التشبيهات الكثيرة التي مرت علينا، اي التشبيه الذي يتضمن أحد طرفيه شيئاً حسياً يقع تحت السمع والبصر أو اي حاسة أخرى وهي ما لاحظناها في كثير من النماذج التي استشهدنا بها، وأما أن يكون هذا الطرف طرفاً نفسياً ونقصد بالطرف النفسي أن كثيراً من الظواهر لا جود لها في دنيا الواقع، ولكنها تنعكس على النفس من خلال أثرها، فكل واحد منّا على سبيل المثال عندما يحس بالفرح الشديد حيال ظاهرة ما، أي عندما يستجيب استجابة مفرحة حيال إحدى الظواهر حينئذ يتحسس وكأن كل ما حوله يتسم بسمات المرح والفرح، وما الى ذلك والعكس هو الصحيح فعندما يستجيب الإنسان استجابة كئيبة، فسوف يسحب استجابته على ما يراه حتى أنه نجده يستجيب لمرأى النهر والجبل والمزرعة وما الى ذلك استجابة مكتئبة.

وعندما نتجه الى التعامل مع العنصر الثالث ونعني به واقع الغيب، فالصورة القرآنية الكريمة عندما ترتكن الى الواقع الغيبي تبدو في بعض مظاهرها وكأنها لا ترتكن الى ما هو حسي أو نفسي كالتشبيه الوارد عن شجرة الجحيم وكون طلعها كأنه رؤوس الشياطين فبالرغم من أن الشياطين ذات كيان واقعي، إلا أن الكيان المذكور لم يشاهد حسياً ولكنه نفسياً يخضع الى الواقع الذهني، بصفة أن المتلقي يمتلك تصويراً ذهنياً عن الشياطين في صورة الأشباح التي نسجها في ذهنه، وهو نسيج له واقع غيبي ما دامت الشخصية الإسلامية مؤمنة بهذا الواقع، وليس أنه واقع وهمي لا وجود له البتة، إذن الأحاسيس النفسية والغيبية التي يخلعها الإنسان على صورة كأنه رؤوس الشياطين إنما يجسد واقعاً نفسياً وغيبياً وليس مستنداً الى الوهم بالنحو الذي أوضحناه .

على أية حال نكتفي بما تحدثنا به من خلال العنصر الصوري وما يتميز به النص القرآني الكريم من إعجاز بلاغي حيال هذه الظاهرة، نقول: نكتفي بما قدمناه من الحديث وكنا نود أيضاً أن نتحدث عن سائر العناصر المتصلة بظاهرة البلاغة، سواء أكان ذلك في ميدان البلاغة الدلالية كظواهر الحذف والتقديم والتأخير والأجمال والتفصيل والاسهاب والاقتصاد وعشرات الموضوعات الأخرى التي تتصل بهذا الجانب أوميادين أخرى متنوعة كثيرة، ولكن من هنا نكتفي فحسب بما قدمناه من الحديث عن العنصر القصصي والصورة .

[دراسات في علوم القرآن]

إعجاز القرآن

د. الشيخ عبد الهادي الفضلي

انزل الله تعالى اكثر من آية قرآنية للإعلان والاعلام بأن القرآن الكريم هو المعجزة الدالة على صحة ادعاء محمد النبوة، وهو الحجة المثبتة لصحة نبوته ﷺ .

وبطلبه من الانس والجن عامة والعرب خاصة مجاراتهم له كان تحديه لهم المقارن لدعواه النبوة.

- قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

- وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [هود: ١٣، ١٤].

- وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤].

وتتمثل مادة الاعجاز في بلاغة القرآن واسلوبه، في بيانه ونظمه، ذلك أن لكل اسلوب أدبي خصائصه الفنية التي يفترق ويمتاز بها عما سواه من الاساليب الادبية الاخرى.

وتتمثل كيفية اعجازه بأن من يسمعه أو يقرؤه من بلغاء العرب وأدبائهم ومتذوقي الوان الفن الادبي العربي يدرك أن اسلوب القرآن الكريم يمتاز بخصائص ترتفع به عن مستوى ما يمكن أن يأتي به أبلغ البلغاء من البشر. أي إن من يسمعه أو يقرؤه «يحكم بأنه ليس من كلام البشر، وبذلك يكون دليلاً

على أن تاليه عليهم – وهو بشر مثلهم – نبي من عند الله مرسل».

«فمن هذا الوجه طولب العرب بالإقرار والتسليم، ومن هذا الوجه تحيرت العرب فيما تسمع من كلام يتلوه عليهم رجل منهم تجده من جنس كلامها لانه نزل بلسانهم – لسان عربي مبين – ثم تجده مبايناً لكلامها».

فهم يتبينون «في نظمه وبيانه انفكاكه من نظم البشر وبيانهم من وجهٍ يحسم القضاء بانه كلام رب العالمين».

ويُستخلص من هذا أمور:

«الاول: ان قليل القرآن وكثيره في شأن الاعجاز سواء.

الثاني: ان الاعجاز كائن في رصف القرآن وبيانه ونظمه، ومباينة خصائصه للمعهود من خصائص كل نظم وبيان في لغة العرب، ثم في سائر لغات البشر، ثم في بيان الثقلين جميعاً: إنسهم وجنهم متظاهرين.

الثالث: ان الذين تحداهم بهذا القرآن قد أوتوا القدرة على الفصل بين الذي هو من كلام البشر والذي هو ليس من كلامهم.

الرابع: ان الذين تحداهم به كانوا يدركون أن ما طولبوا به من الاتيان بمثله، أو بعشر سور مثله مفتريات، هو هذا الضرب من البيان الذي يجدون في انفسهم أنه – خارج من جنس بيان البشر.

الخامس: ان هذا التحدي لم يقصد به الاتيان بمثله مطابقاً لمعانيه، بل أن يأتوا بما يستطيعون افتراءه واختلاقه، من كل معنى أو غرض، مما يعتلج في نفوس البشر.

السادس: ان هذا التحدي للثقلين جميعاً انسهم وجنهم متظاهرين، تحدٍّ ومستمر قائم الى يوم الدين.

السابع: ان ما في القرآن من مكنون الغيب، ومن دقائق التشريع، ومن عجائب آيات الله في خلقه، كل ذلك بمعزل عن هذا التحدي المفضي الى الاعجاز، وان كل ما فيه من ذلك كله يعد دليلاً على أنه من عند الله تعالى، ولكنه لا يدل على أن نظمه وبيانه مباين لنظم كلام البشر وبيانهم، وانه بهذه المباينة كلام رب العالمين لا كلام البشر مثلهم».

ولأن القرآن الكريم المعجزة الخالدة بخلود رسالة النبي محمدﷺ، والمستمرة مع استمرارها، كما هو واضح من الآية الاولى المذكورة في اعلاه، قد يطرح السؤال التالي:

بم يتمثل اعجاز القرآن الكريم الآن، وقد ذهب العرب الفصحاء الذين استقبلوه ايام تنزيله وادركوا بذوقهم الفطري انه كلام الله تعالى لسموه في مستوى بيانه ونظمه فوق مستوى كلامهم؟

وممن أثار هذا التساؤل مالك بن نبي، قال في كتابه (الظاهرة القرآنية) : «ان لكل شعب هواية يصرف اليها مواهبه الخلاقة طبقاً لعبقريته ومزاجه.

فالفراعنة – مثلاً – كان لهم اهتمام بفنون العمارة والرياضيات، يدلنا عليه ما بقي بين أيدينا من آثارهم العظيمة، تلك الآثار التي أثارت اهتمام رجال العلم، مثل الأب (مورو) الذي خصص أحد كتبه لدراسة تصميم الهرم الاكبر، وما يتضمن من نظريات هندسية

غريبة وخصائص رياضية وميكانيكية عجيبة.

كما كان اليونان مغرمين بصور الجمال على ما أبدعه فن (فيدياس)، وبآيات المنطق والحكمة على ما جادت به عبقرية (سقراط).

أما العرب في الجاهلية فقد كانت هوايتهم في لغتهم، فلم يقتصروا على استخدامها في ضرورات الحياة اليومية، شأن الشعوب الأخرى. وانما كان العربي يفتن في استخدام لغته، فينحت منها صوراً بيانية لا تقل جمالاً عما كان ينحته فيدياس في المرمر، وما كانت ترسمه ريشة (ليوناردو دافانسي) في لوحاته المعلقة في متاحف العالم الكبرى.

ومن هذا نستخلص أمرين :

١ – انه يصح أن ندرس الرسالة المحمدية في ضوء ما سبقها من الرسالات.

٢ – كما يصح أن ندرس هذه الرسالات في ضوء رسالة محمد صلى الله عليه وآله على قاعدة أن (حكم العام ينطبق على الخاص قياساً، وحكم الخاص ينطبق على العام استنباطاً).

ولا مانع اذن من أن نعيد النظر في معنى (الاعجاز) في ضوء منطق الآية الكريمة.

وحاصل هذا : اننا اذا اعتبرنا الاشياء في حدود الحدث المتكرر أي في حدود الظاهرة، فالإعجاز هو :

١ – بالنسبة الى شخص الرسول : الحجة التي يقدمها لخصومه ليعجزهم بها.

٢ – وهو بالنسبة الى الدين : وسيلة من وسائل تبليغه.

[خلاصة علم الكلام]

منهج التثبت في شأن الدين

السيد محمد باقر السيستاني

ضرورات الدين والمذهب

الشيخ محمد جواد مغنية

الدين واحد والشرائع متعدّدة

الشيخ محمد السند

منهج التثبت في شأن الدين

السيد محمد باقر السيستاني

الحلقة التاسعة: ضرورة التفريق بين الدين والشريعة والفقه وأقسام الفقه

إن من المهم -عند النظر في الأحكام الشرعية- التفريق بين الدين والشريعة والفقه الاجتهادي.. وهذا التصنيف الثلاثي وخصوصيّاته من أهم شؤون المعرفة بمعالم الدين..

١. إن حقيقة الدين: -كما تقدم- رؤية كونية مبنية على ثلاثية: الخالق، ورسالته إلى الإنسان، وبقاء الإنسان بعد الممات، وهي من ثوابت الدين التي بدأت وفق المنظور الديني مع بداية خلق الإنسان، وقد قامت عليها الأدلة القاطعة والحجج البالغة، فلا ينبغي أن تكون مظنّة للتجديد والتغيير والاجتهاد والاختلاف، قال تعالى: ﴿**شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ**

إِلَيْهِ﴾[1].

٢. وأما الشريعة: فنقصد بها التعاليم التشريعية الصادرة من المشرّع الإسلاميّ حقيقة، بغض النظر عن وصولها على وجهها إلى الناس أو لا، وهي إنما تثبت لنا في ما جاء بنحو واضح لا التباس فيه من دون حاجة إلى إعمال جهد تخصّصي (اجتهاد) يمكن أن يخطيء أو يصيب.. كما في الاحكام الشرعية الواردة بدلالة واضحة وبيّنة في القرآن الكريم والسنة المتواترة، ومن ذلك: أصل وجوب الصلاة والحج والزكاة، ويمكن التعبير عن هذا القسم من التشريعات الثابت لنا بشكل حاسم بـ(الحقائق التشريعية)؛ بسبب قطعيتها وانتفاء الشك فيها.

٣. وأما الفقه الاجتهادي: فهو التشريعات التي يستنبطها الفقهاء بموجب الأدوات الاجتهادية المتوفرة عندهم، والتي لا تؤدي إلى ثبوتها بدرجة قاطعة، بل توجد في مقابلها نظريات أخرى لها شواهدها، كما هو الحال في المسائل الخلافية. أو فرضيات محتملة لا يمكن نفيها نفياً قاطعاً. ويمكن التعبير عن هذا القسم بـ (النظريات التشريعية)؛ لأنها -وإن قامت الحجة عليها بحيث لزم الأخذ بها- لا تزيد على النظرية.

وهذا القسم -بعد أن كان عرضة للخطأ والصواب- لا يصح أن يُنسب إلى الشرع بنحو جازم؛ فيُؤخذ الدين والشريعة بمقتضاه، وإنّما هو مما قامت عليه الحجة حسب الأدوات المتوفرة لدى الفقهاء، وربما كان بعضهم أفقه من بعض آخر في فهم الشريعة ومقاصدها وتشريعاتها، ورب حجة فقهية لا تفيد الظنّ دائماً -بل غالباً-، ولكن يتعين الأخذ بها على وجه مطلق ما لم يُطمأن بخطئها، بل من الحجج ما يُعتمد عليه على سبيل القاعدة التي تبيّن الوظيفة العملية، من دون أن تدلّ على ثبوت حكم شرعي واقعي بحال[2].

وعليه: فإذا لوحظ في هذا القسم ما يُحرز منافاته مع مبادئ العدالة بنحو قاطع، كان ذلك بنفسه دليلاً على عدم تمامية الحجة الاجتهادية المعتمدة وضرورة سلوك منحى اجتهادي آخر في موردها..

---

(١) الشورى: ١٣.

(٢) وتوضيح ذلك: ان الفقه الاجتهادي أنواع:
(الأول): ما يحصل اليقين به لبعض المجتهدين أو طائفة منهم أو الكثير منهم إلا أن هذا لا يجعله يقينياً في مستوى العلم، وإنما توجد عليه مؤشرات قد يقطع بها فقيه، ويعمل عليها فقيه آخر كحجة مع تجويزه لفرضيات محتملة أخرى.
(الثاني): ما تقوم عليه أمارات وشواهد توجب الاطمئنان به، من غير أن ينفي الخطأ فيها نفيا حاسماً.
(الثالث): ما تقوم عليه حجج ظنية يؤخذ بها، مثل: ظواهر الكلام التي هي حجة قانونية ملزمة في جميع القوانين الوضعية وإن كانت محتملة للخلاف. ومثل هذه الحجج إنما يحصل الظن بها غالباً، وقد لا يحصل الظن بها في كل مورد بالضرورة، وإن كانت حجة حتى في مورد عدم حصول الظن بها للناظر فيها.
(الرابع): ما يحدد فيه الموقف الشرعي كوظيفة عملية في حالات الشك، مثل :عدم الأخذ بالتكليف لمجرد الاحتمال. وإبقاء الحكم السابق حتى تثبت الحجة على خلافه، ويعبر عنه في علم الأصول المعاصر بـ(الوظائف العملية).

أقسام الأمور التشريعيّة وتحديد مورد التساؤل منها:

ولكن ليست جميع الأمور التشريعية عُرضة للتساؤل عن مدى مطابقتها مع مبادئ العدالة، وإنما يتّفق ذلك في قسم من مسائل الفقه..

وتوضيح ذلك: إن ما وقع موضعاً للتساؤل منها -على العموم- ليست أصول مسائلها ولا قسم العبادات منها، بل قسم من الفروع والتطبيقات التي تحتمل نظريات اجتهادية أخرى؛ فبعضها حقّ وقد لا يكون بعضها الآخر حقّاً، وما لم يكن حقّاً منها لا يؤول إلى نفي حقّانية، وذلك: أن التشريع الإسلامي ينقسم إلى:

١. الأصول العامة للتشريع: أما الأصول العامة للتشريع فلا غبار عليها؛ لأنها ليست إلا لتحرّي الفضائل الفطرية على النحو الذي يفرضه مستواها الفطري القيمي، وهذه الأصول ليست مبادئ للتشريع فقط؛ بل هي -كما سبق توضيحه في حلقة سابقة- دستور للشريعة، يُشترط في التشريعات الفرعيّة موافقتها لها[1].

كما أن هذه الأصول أمور متفق عليها في الأديان الإلهية كما قد تشملها الآية المتقدّمة التي تفيد وحدة ما شرع في عهد نوح ومن بعده من الأنبياء.

وينتمي إليها جلّ الحرمات العامة في أصولها، مثل: حق الوالدين والجار وصلة الرحم ووجوب الوفاء بالعهد وأداء الأمانة ووجوب إعانة المضطر وحرمة الزنا والفعل الشاذ وحرمة الاعتداء على الآخرين في نفس أو بدن أو عرض أو مال أو جاه، كما في السخرية والانتقاص من الآخرين والتجسس عليهم ونشر أسرارهم، وحرمة الظهور بمظهر الإغراء أمام الآخرين أو الانكشاف لديهم وحرمة الإسراف والتبذير ونحو ذلك.

٢. التطبيقات والفروع: وأما التطبيقات والفروع فهي على قسمين:

(الأول): طقوس عبادية بعضها بسيطة، مثل: الذِّكر والدعاء وقراءة الكتاب المجيد والتحميد والثناء والاستغفار والمناجاة وبث الهموم معه سبحانه.

(الثاني) مركبة من أمور متعددة، مثل: الصلاة والصيام والحج والعمرة وزيارة المساجد والاعتكاف فيها والكفارات الثابتة على الأخطاء والخطايا.

ويتميز هذا القسم عن باقي الأحكام التشريعية في الدين بميزات تجعله في غاية الأهمية في الدين:

---

(١) كما ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «**قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: إِنَّ عَلَى كُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةً وعَلَى كُلِّ صَوَابٍ نُوراً فَمَا وَافَقَ كِتَابَ الله فَخُذُوه ومَا خَالَفَ كِتَابَ الله فَدَعُوه**».

والمفهوم من سياق هذا الحديث أن موافقة الكتاب تقتضي وجود نور الحق والحقيقة على مضمون الأحاديث المروية، وفي الفقهاء المعاصرين من اشترط في حجية الحديث موافقة القرآن الكريم موافقة روحية بالنظر إلى أنه بمثابة الدستور الأساس للإسلام فهو يتضمن الخطوط العريضة فيه.

١. إنها مظهر الإيمان بالحقائق الكبرى المثبتة في الرؤية الدينية والرباط الواصل بين الإنسان وخالقه والحياة الأخرى؛ باستحضار لله سبحانه وصفاته وعظمته وترسيخ الإيمان برسائله إلى الخلق واستذكار الموت والدار الآخرة والالتفات إلى ضرورة ادّخار الأعمال الصالحة لها والاستمداد من كل هذه المعاني.. وقد رُوي في الحديث: «**أن الصلاة معراج المؤمن**»، و«**الصلاة عمود الدين**».

٢. إنها تمثّل أهم الفضائل الإنسانية وأعمقها، فهي ليست على حد سائر الطاعات ولا المعصية فيها على حد سائر المعاصي لوجه فطري واضح تنبه عليه النصوص الدينية[1].

٣. إنها عماد السلوك الفاضل الصحيح في الحياة، سواء في المساحة التي يدركها العقل بوضوح من القيم النبيلة، كتجنب الاعتداء على الآخرين والإحسان إليهم والوفاء بالعهد والأمانة ورعاية الفقراء والأيتام ومراعاة العفاف في القول والمظهر والسلوك ونحوها.. أم في المساحة التي ورد الشرع بتعيين الوظيفة فيها.

والوجه في ذلك: أن الميل إلى الفضيلة -وإن كان قد أودع في الضمير الإنساني، إلا أن من شأن الإيمان بالله سبحانه والالتفات إلى كونه مع الإنسان دوماً واطلاعه على أحواله وأفعاله، وأنه سيرجع إلى خالقه بعد هذه الحياة ليلقى نتاج أعماله..

---

(١) وذلك أن الله سبحانه هو المنعم على الإنسان بوجوده وبوجود كل النعم التي ينتفع بها من الأبوين والأولاد والأزواج والأصدقاء والأعوان والمساكن والأطعمة والمياه والأشجار والحيوانات والشمس والقمر وغيرها...؛ فنسبة الإنسان إليه تشبه نسبة الولد إلى الوالدين أو نسبة الضيف على مضيفه مع فرق فاحش.

وعليه: يمكن أن نفهم الأمر بمقارنة السلوك غير اللائق تجاه الله سبحانه بملاحظة سلوك الولد غير اللائق مع الوالدين، فإن هذا، طوراً يكون بعد طاعة والديه في بعض ما يريان لزوم الإتيان به عليه، ويشفقان عليه منه، فهذا أمر قبيح وغير لائق، وطوراً آخر يكون بالإساءة إلى الوالدين بما يكون تنكراً لأصل الأدب معهما من قبيل أن ينكر الولد كونهما والدين له تعسفاً، أو يسيء إليهما بالسب والشتم والإهانة، أو يراهما ويحضر عندهما من غير أن يحييهما ويسلم عليهما ويقوم بأدنى مظاهر الأدب تجاههما أو يقاطعهما فلا يزورهما في أي حال، أو يتصرف في محضرهما في ممارساته الاعتيادية بنحو يعد إهانة لهما واستهتاراً بهما؛ فهذا الولد عاق لوالديه فاقد من معاني الإنسانية أجلها وأعمقها في نفس الإنسان حيث تنكّر لأصله الذي ولد منه...

وهذا المعنى يجري في شأن الله سبحانه مع ملاحظة الفارق فإن الإنسان إذ كان أصله من الله سبحانه الذي خلقه وهو يعيش بين ظهراني نعمه فإن إعراضه عن الإذعان به وبنعمه ومراعاة أدنى درجات الأدب معه مما يعد تركه إهانة لأمر قبيح جداً، كما جاء في القرآن الكريم عن لقمان الحكيم: ﴿**يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ لقمان/ ١٣ ، وقد قال سبحانه ﴿**هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ**﴾ الرحمن/ ٦٠ ،وقال: ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**﴾ إبراهيم/ ٣٤.

والعبادات مصاديق توقيفية للأدب مع الله سبحانه؛ فالصلاة إلقاء للتحية عليه، والصوم إمساك تأدبي في محضره، والحج زيارة له في بيته؛ فما أقبح ترك الإنسان اياه بالقياس إلى عدم طاعة سائر أوامره -وإن كان ذلك أيضاً قبيحاً-.

ضرورات الدين والمذهب

الشيخ محمد جواد مغنية

المسلم من صدق مقتنعا بكل ما اعتبره الإسلام من الأصول والفروع، والأصول ثلاثة: التوحيد، والنبوة، والمعاد، فمن شك في أصل منها، أو ذهل عنه قاصرا أو مقصرا فليس بمسلم، ومن آمن بها جميعا جازما فهو مسلم، سواء أكان إيمانه عن نظر واجتهاد، أم عن التقليد والعدوى، على شريطة أن يكون وفق الحق والواقع.

أما ما ذكره العلامة الحلي، والشهيد الثاني، وغيرهما، من وجوب الاستدلال والنظر في العقائد، وعدم كفاية التقليد فيها، فإن المقصود منه التقليد الذي لا يوصل إلى الواقع، أما إذا كان سبيلا للتصديق بالحق، فلا ريب في أجزائه وكفايته، وإلا لم يبق من المسلمين سوى واحد من كل مائة، ولذا قال العلامة الأنصاري في كتاب الفرائد : «والأقوى كفاية الجزم الحاصل من التقليد».

ويكفي من التوحيد الإيمان بوحدة الله تعالى، وقدرته وعلمه وحكمته، ولا تجب معرفة صفاته الثبوتية والسلبية بالتفصيل، ولا أنها عين ذاته أو غيرها، ويكفي من النبوة الإيمان بأن محمداﷺ رسول من الله صادق فيما أخبر به، معصوم في تبليغ الأحكام، فإن الرسول قد يخبر عن الشيء بصفته الدينية المحضة أي كونه رسولا مبلغا عن الله تعالى، وقد يخبر عنه بصفته الشخصية، أي كونه انسانا من البشر، فما كان من النوع الأول يجب التعبد به، وما كان من النوع الثاني فلا يجب، أما التصديق والإيمان بأن النبي كان يسمع ويرى وهو نائم، كما يسمع ويرى وهو مستيقظ، وأنه يرى من خلفه كما يرى من أمامه، وأنه عالم بجميع اللغات، وأنه أول من تنشق عنه الأرض، فليس من ضرورات الدين ولا المذهب .

ويكفي من المعاد الاعتقاد بأن كل مكلف يحاسب بعد الموت على ما اكتسبه في حياته، وأنه ملاق جزاء عمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، أما إنه كيف يحاسب العبد ؟ وعلى أية صورة بالتحديد يكون ثواب المحسن، وبأي لون يعاقب المسيء؟ فلا يجب التدين بشيء من ذلك، فالتوحيد، والنبوة، والمعاد، دعائم ضرورية لدين الإسلام، فمن أنكر واحدا منها، أو جهله فلا يعد مسلما شيعيا، ولا سنيا .

أما الفروع التي هي من ضرورات الدين، فهي كل حكم اتفقت عليه المذاهب الإسلامية كافة من غير فرق بين مذهب ومذهب، كوجوب الصلاة والصوم، والحج، والزكاة، وحرمة زواج الأم والأخت، وما إلى ذلك مما لا يختلف فيه رجلان من المسلمين، فضلا عن طائفتين منهم، فإنكار حكم من هذه الأحكام إنكار للنبوة، وتكذيب لما ثبت في دين الإسلام بالضرورة .

والفرق بين الأصول والفروع الضرورية، أن الذي لا يدين بأحد الأصول يكون خارجا عن الإسلام، جاهلا كان أم غير جاهل، أما الذي لا يدين بفرع ضروري، كالصلاة والزكاة، فإن كان ذلك مع العلم بصدوره عن الرسولﷺ، فهو غير مسلم؛ لأنه إنكار للنبوة نفسها، وإن كان جاهلا بصدوره عن الرسالة، كما لو نشأ في بيئة بعيدة عن الإسلام والمسلمين، فلا يضر ذلك بإسلامه إذا كان ملتزما بكل ما جاء به الرسول، ولو على سبيل الاجمال، فالتدين بالأصول أمر لا بد منه للمسلم، ولا يعذر فيها الجاهل، أما إنكار الأحكام الفرعية الضرورية فضلا عن الجهل بها، فلا يضر بإسلام

المسلم إلا مع العلم بأنها من الدين، فالإمامة ليس أصلا من أصول دين الإسلام، وإنما هي أصل لمذهب التشيع، فمنكرها مسلم إذا اعتقد بالتوحيد والنبوة، والمعاد، ولكنه ليس شيعيا .

وضرورات المذهب عند الشيعة على نوعين: النوع الأول يعود إلى الأصول، وهي الإمامة، فيجب على كل شيعي إمامي اثني عشري، أن يعتقد بإمامة الاثني عشر إماما، ومن ترك التدين بإمامتهم عالما كان أم جاهلا، واعتقد بالأصول الثلاثة، فهو عند الشيعة مسلم غير شيعي، له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم، فالامامة أصل لمذهب التشيع الذي يرجع معناه ودليله إلى حديث الثقلين «**مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق**».

النوع الثاني من ضرورات مذهب الشيعة يرجع إلى الفروع، كنفي العول، والتعصيب، ووجوب الاشهاد على الطلاق، وفتح باب الاجتهاد، وما إلى ذلك مما اختصوا به دون سائر المذاهب الإسلامية، فمن أنكر فرعا منها مع علمه بثبوته في مذهب التشيع لم يكن شيعيا . وأغتنم هذه المناسبة لألفت نظر من يحتج على الشيعة ببعض الأحاديث الموجودة في كتب بعض علمائهم، ألفت نظره إلى أن الشيعة تعتقد أن كتب الحديث الموجودة في مكتباتهم فيها الصحيح والضعيف، وأن كتب الفقه التي ألفها علماؤهم فيها الخطأ والصواب، فليس عند الشيعة كتاب يؤمنون بأن كل ما فيه حق وصواب من أوله إلى آخره غير القرآن الكريم، فالأحاديث الموجودة في كتب الشيعة لا تكون حجة على مذهبهم، ولا على أي شيعي بصفته المذهبية الشيعية، وإنما يكون الحديث حجة على الشيعي الذي ثبت عنده الحديث بصفته الشخصية .

وهذه نتيجة طبيعية لفتح باب الاجتهاد لكل من له الأهلية، فإن الاجتهاد يكون في صحة السند وضعفه، كما يكون في استخراج الحكم من أية رواية.

ولا أغالي إذا قلت : أن الاعتقاد بوجود الكذب والدس بين الأحاديث ضرورة من ضرورات دين الإسلام من غير فرق بين مذهب ومذهب، حيث اتفقت على ذلك كلمة جميع المذاهب الإسلامية.

[الشيعة في الميزان]

الدين واحد والشرائع متعدّدة

الشيخ محمد السند

من الأخطاء الشائعة في الصحافة والإعلام، وبين عامّة الناس هو التعبير (الأديان)، فنسمع عن حوار الأديان، والبحث عن أوجه الاختلاف أو التلاقي بين هذه الأديان، وهذا ما يتعارض مع المفهوم القرآني والمفاهيم التي جاءت بها الأحاديث الشريفة؛ حيث إنّ المفهوم القرآني يؤكّد على أنّ الدين واحد وليس متعدّداً، فتكون النتيجة أنّ تعبير الأديان تعبيرٌ خاطئ؛ لأنّه يتعارض مع الطرح القرآني.

وكذلك ينبغي التفريق بين مصطلحات: (الدين، والشريعة، والملّة، والمنهاج - وهو الطريقة كما في بعض الآيـات -) التي وردت في القرآن الكريم، ولا بدَّ من تعريف هذه المصطلحات قبل الخوض في البحوث المقبلة؛ لأنّ الكثير من الناس يستخدم الدين كمصطلح مرادف للشريعة، وهذا من الاستخدام اللغوي والعرفي الخاطئ.

الدين: عبارة عن مجموعة من أُصول اعتقاديّة وأُصول معارف كونيّة، ويضمّ إليه أركان الفروع، أو يضمّ إلى أركان الفروع أُصول الآداب.

الشريعة: الشريعة تختلف عن الدين؛ لأنّ الإسلام اسم للدين وليس للشريعة.

وتسمى الشريعة المحمّديّةﷺ كما توجد شريعة موسويّة، وشريعة عيسويّة، وشريعة نوحيّة، وشريعة إبراهيميّة.

والشريعة: هي تفاصيل التشريعات في الأحكام الفرعيّة والآداب و - لغةً -: هي الضفة الجانبيّة المتفرّعة من رافد النهر، وهذا ما يحدّثنا به أربـاب المقاتل عندما يتحدّثون عن العباس حين استقى الماء من الشريعة. قال ابن منظور في لسان العرب: «والشرعة والشريعة في كلام العرب: مشرعة المـاء، وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون»[1].

الملّة: قد تعرّف بالأحكام التي تتلاءم مع الفطرة إذا سنّت وجذّرت وبنيت في أعراف البشر كظواهر سلوكيّة اجتماعيّة دينيّة. وفي اللغة هي كالدين اسم لما شرّع الله تعالى لعباده على لسان الأنبياء ليتوصّلوا به إلى جوار الله، والفرق بينها وبين الدين أنّ الملّة لا تضاف إلّا إلى النبيّ عليه الصلاة والسلام الذي تسند إليه... ولا تكاد توجد مضافة إلى الله ولا إلى آحاد أُمّة النبيّﷺ، ولا تستعمل إلاّ في جملة الشرائع دون آحادها، وهذا يدعم التعريف السابق، فإنّ الذي يوجد ويؤسّس الأعراف الدينيّة هم الأنبياء[2].

والمنهاج - بالكسر - والطريقة: هو الطريق الواضح[3] لغةً، وقد يعرّفان - كما هو مقتنص من الاستعمال القرآني والروائي حيث أُسندا إلى الأئمّة والأوصياء، لا سيّما أمير المؤمنينعليه السلام أنّـه: هدي الأوصياء، وهو بمثابة التأويل للتنزيل، بكلّ أنماط وأنواع التأويل.

فالأسس الرئيسيّة في منطقة الدين، إنّما هي أُصول الاعتقاد وأُصول المعارف التي تمثّل دائرة الدين، أمّا الدائرة التي هي أكثر تشعّباً، وأكثر تراميا، وأكثر بُعداً عن المركز فهي دائرة الشريعة، حيث تشتمل على تفاصيل الأحكام والقوانين.

ولهـذا نـجد أنّ الـقـرآن يـصرّح في قـولـه تـعـالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾[4]، فلم يكن التعبير: «لكلّ جعلنا منكم ديناً ومنهاجاً»؛ وذلك لأنّ الدين واحد. فدين نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّدعليهم السلام هو دين واحد، وأصحاب الشرائع هم الأنبياء أُولو العزم، وهذا ما ورد عن المعصومين، حيث وصفوهم بأنّهم أصحاب شرائع وليسوا أصحاب أديان.

[الحداثة والعولمة]

(١) لسان العرب / ابن منظور: ٧ / ٧٦، مادة «شرع».

(٢) المفردات / الراغب الاصفهاني: ٤٧٦، مادة: ملل.

(٣) المصدر المتقدّم: ٥٠٨، مادة: نهج. المصباح المنير / الفيّومي: ٦٢٧، مادة: النهج.

(٤) سورة المائدة: الآية ٤٨.

حجية الظن في الاصول الاعتقادية
السيد ابو القاسم الخوئي

شيخوخة الاجازة
الشيخ باقر الاراواني

كيفية تكوّن الهلال؟
الشيخ جعفر السبحاني

حجية القرآن الشريف
الشيخ هادي كاشف الغطاء

حجية الظن في الاصول الاعتقادية

السيد ابو القاسم الخوئي

اما الاصول الاعتقادية ففيها تفصيل، فان الاصول الاعتقادية على قسمين قسم منها ما يجب البناء وعقد القلب عليه والتسليم والانقياد له كأحوال ما بعد الموت من مسألة القبر، والحساب، والكتاب، والصراط، والميزان، والجنة، والنار وغير ذلك فانه لا يجب على المكلف تحصيل المعرفة بخصوصيات الامور المذكورة بل الواجب عليه انما هو البناء وعقد القلب عليها والتسليم والانقياد لها من جهة اخبار النبي صلى الله عليه وآله أو الوصي عليه السلام بها، وقسم منها ما يجب معرفته عقلا او شرعا كمعرفة الله سبحانه ومعرفة انبيائه واوصيائه.

اما القسم الاول فحجية الظن الخاص فيه مما لا مانع منه فاذا قام دليل ظني معتبر على ثبوت امر من تفاصيل ما ذكر من مسألة القبر والحساب والكتاب والصراط والميزان وغير ذلك يجب الالتزام بمضمونه وعقد القلب عليه والانقياد له بلا فرق في ذلك بين القول بكون مفاد ادلة الحجية هو جعل الطريقية او جعل التنجيز والتعذير.

نعم، حجية الظن المطلق فيه امر غير صحيح لعدم تمامية مقدمات الانسداد بالاضافة اليه وان قلنا بتماميتها بالاضافة الى الاحكام الفرعية فان من مقدماته عدم وجوب الاحتياط لاجل استلزامه اختلال النظام أو العسر والحرج ومن الظاهر ان الاحتياط في الامور المذكورة لا يستلزم العسر والحرج، فضلا عن اختلال النظام ضرورة ان الالتزام بما هو الواقع على اجماله وعقد القلب عليه كذلك في موردها لا يستلزم شيئا من المحاذير كما لا يخفى.

واما القسم الثاني اعني به ما يجب معرفته عقلا أو شرعا كمعرفة الله سبحانه فانه يجب معرفته سبحانه عقلا بملاك وجوب شكر

المنعم ودفع الضرر المحتمل، وكمعرفة النبي ﷺ فانه يجب معرفته ﷺ عقلا أيضا لما ذكر من الملاكين حيث انه ﷺ من وسائط نعمائه وآلائه، وكمعرفة الامام عليه السلام فانه يجب معرفته عليه السلام اما عقلا لعين ما ذكر في وجه وجوب معرفة النبي ﷺ أو شرعا لما دل عليه من الروايات المتواترة، وكمعرفة المعاد الجسماني فانه يجب معرفته شرعا لما دلت عليه الآيات والروايات والاجماع والضرورة فتوضيح الكلام في ذلك يستدعي التكلم في جهات.

الجهة الاولى في ان الظن هل هو حجة في هذا القسم من الاصول الاعتقادية فنقول: لا ينبغي الريب في عدم حجية الظن الخاص فيه فضلا عن الظن المطلق؛ وذلك لأن المطلوب فيه هو المعرفة وخروج النفس من الظلمة الى النور ومن الاحتمال والتردد الى اليقين والثبات؛ ومن الظاهر ان الظن لا يوجب شيئا من ذلك ضرورة ان نور العلم وثبات اليقين لا يحصل للنفس بالظن وان ثبت اعتباره بدليل خاص فضلا عن ان يثبت بدليل الانسداد.

وبعبارة اخرى ان العلم في امثال ما ذكر من الاصول الاعتقادية معتبر بما انه صفة نفسانية وقد تقدم في مبحث القطع ان الطرق والامارات لا تقوم مقام العلم المعتبر بنحو الصفتية وعلى هذا فان تمكن المكلف من تحصيل المعرفة فيجب عليه تحصيلها وان عجز عن تحصيلها يسقط الوجوب عنه لاشتراط التكليف بالقدرة على متعلقه عقلا.

الجهة الثانية في ان الجاهل بهذا القسم من الاصول الاعتقادية هل هو موجود خارجا فنقول: اما بالنسبة الى معرفة الله سبحانه فوجوده في غير الصبيان والمجانين في غاية الندرة حيث ان من كان له عقل ولو في ادنى مراتبه يدرك ان للعالم صانعا فان معرفته سبحانه امر فطري للبشر كما يشهد عليه مثل قوله سبحانه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللّٰهِ الَّتِي فَطَرَ النّٰاسَ عَلَيْهٰا لاٰ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّٰهِ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النّٰاسِ لاٰ يَعْلَمُونَ﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ فَأَنّٰى يُؤْفَكُونَ﴾، فوجود الجاهل بالنسبة الى مسألة معرفة الله سبحانه من ذوي العقول نادر جدا بل غير موجود خارجا.

نعم، بالنسبة الى مسألة النبوة الخاصة والامامة في غاية الكثرة فان كثيرا من الكفار خصوصا نساءهم جاهلون بمسألة النبوة الخاصة كما ان كثيرا من المخالفين خصوصا نساءهم جاهلون

بمسألة الامامة وكذلك بالنسبة الى مسألة المعاد الجسماني فان كثيرا من الناس من جهة غموضة المطلب جاهلون بالمسألة كما لا يخفى.

الجهة الثالثة في ان الجاهل بالاصول الاعتقادية هل يستحق العقاب على جهله فنقول: اما الجاهل المقصر وهو الذي يقصر في تحصيل الحق ومعرفته مع تمكنه من تحصيله فلا اشكال في استحقاقه العقاب لتركه ما يجب عليه من تحصيل المعرفة عقلا أو شرعا على ما تقدم، واما الجاهل القاصر وهو الذي لا يتمكن من تحصيل الحق ومعرفته اما لغفلته عنه أو لغموضة المطلب مع قلة الاستعداد، فالصحيح انه لا يستحق العقاب كما هو المعروف بين القوم وذلك لقبح العقاب على ما هو خارج عن تحت القدرة والاختيار لكونه من اوضح مصاديق الظلم وتعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

واما ما التزم به صاحب الكفاية في حاشيته عليها من استحقاقه العقاب فهو مبني على ما ذهب اليه من ترتب العقاب على بعد العبد عن ساحة المولى المسبب من خبث سريرته ونقصان ذاته، وقد تعرضنا لكلامه مع توضيح الجواب عنه في مبحث التجري، فالجاهل القاصر لا يستحق العقاب على جهله بالحق، نعم لا بد من ألّا يعانده بل ينقادله على اجماله لو احتمله.

الجهة الرابعة في ان احكام الكفر من النجاسة وعدم الارث وغيرهما هل تترتب على الجاهل بالاصول الاعتقادية فنقول: الظاهر تترتب احكام الكفر عليه سواء كان جهله ناشئا من قصوره او من تقصيره فان المستفاد من الادلة ان احكام الكفر مترتبة على غير المعترف بالحق واطلاقها يشمل العارف المعاند والجاهل كما يشمل الجاهل المقصر والقاصر.

[مباني الاستنباط]

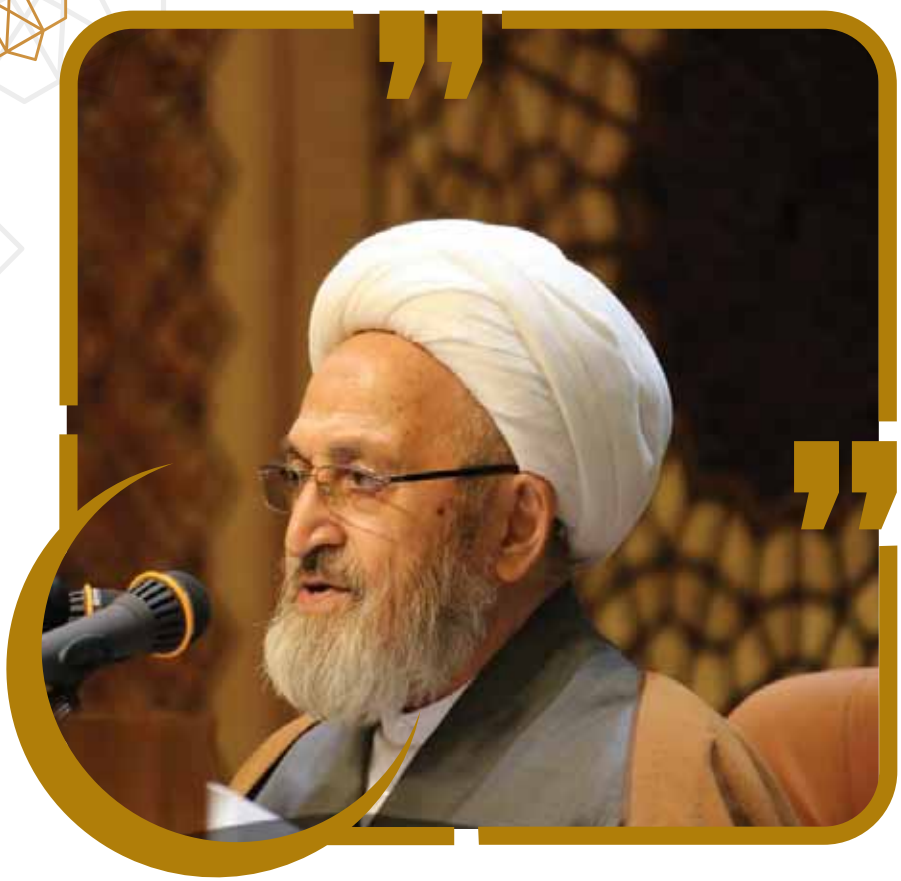

كيفيّة تكوُّن الهلال؟

الشيخ جعفر السبحاني

إنّ القمر في نفسه جرم مظلم وإنّما يكتسب النور من الشمس نتيجة المواجهة معها، فنصف منه مستنير دائماً، والنصف الآخر مظلم كذلك، غير انّ النصف المستنير لا يستبين لدينا على الدوام، بل يختلف زيادة ونقصاً حسب اختلاف سير القمر.

فانّه لدى طلوعه عن الأُفق من نقطة المشرق مقارناً لغروب الشمس بفاصل يسير في الليلة الرابعة عشرة من كلّ شهر بل الخامسة عشرة فيما لو كان الشهر تاماً يكون تمام النصف منه المتجه نحوَ الغرب مستنيراً حينئذ لمواجهته الكاملة مع النيّر الأعظم، وهذا ما يطلق عليه مقابلة القمر مع الشمس، كما أنّ النصف الآخر المتجه نحو الشرق مظلم.

ثمّ إنّ هذا النور يأخذ في قوس النزول في الليالي المقبلة، وتقلُّ سعته شيئاً فشيئاً حسب اختلاف سير القمر إلى أن ينتهي في أواخر الشهر إلى نقطة المغرب بحيث يكون نصفه المنير مواجهاً للشمس، وهذا ما يطلق عليه مقارنة النيرين، ويكون المواجه لنا هو تمام النصف الآخر المظلم، وهذا هو الذي يعبِّر عنه بتحت

الشعاع والمحاق، فلا يرى منه أي جزء، لأنّ الطرف المستنير غير مواجه لنا لا كلاً كما في الليلة الرابعة عشرة، ولا بعضاً كما في الليالي السابقة عليها أو اللاحقة.

ثمّ يخرج شيئاً فشيئاً عن تحت الشعاع ويظهر مقدار منه من ناحية الشرق ويرى بصورة ضوء عريض هلاليّ ضعيف، وهذا هو معنى تكوّن الهلال وتولّده، فمتى كان جزء منه قابلاً للرؤية ولو بنحو الموجبة الجزئية، فقد انتهى به الشهر القديم، وكان مبدأً لشهر قمري جديد.

إذاً فتكوّن الهلال عبارة عن خروجه عن تحت الشعاع بمقدار يكون قابلاً للرؤية ولو في الجملة.

السادس: الشهر القمري يفترق عن الشهر الطبيعي، ولكنّ الثاني ربما لا يشكّل بداية الشهر الشرعي، ما لم يتكون الهلال بصورة قابلة للرؤية عند الغروب، ولذا يتأخر الشهر الشرعي عن الشهر الطبيعي باستمرار، لاستحالة أن يتولّد الهلال من أوّل أمره عريضاً قابلاً للرؤية.

وبعبارة أُخرى: انّ القمر إذا بدأ بالخروج من مقارنة النيّر الأعظم متحركاً إلى جانب الغرب يتحقّق الشهر الطبيعي أو الفلكي، ومع ذلك لا يرى في السماء عند الغروب إلّا إذا انتهت حركته إلى درجة تؤهله للرؤية، ويذكر الفلكيون انّ القمر إذا وصل إلى الدرجة السادسة من دائرة حركته يكون صالحاً للرؤية بالعين المجردة، ولذلك ربما يتوقف على تأخر ليلة كاملة من ولادته الطبيعية.

السابع: انّ القمر يبدأ بحركته من الشرق إلى الغرب، ويخرج من مقارنة النير الأعظم متوجهاً إلى جانبه شيئاً فشيئاً إلى أن يتولد الهلال القابل للرؤية عند الغروب، فإذا رُئي يكون دليلاً على إمكان رؤيته في الآفاق الغربية، لأنّ سير القمر يكون باتجاهها وإذا وصل إليها ربما يكون النور فيه قد ازداد.

ولذلك ربما يقال: إنّ الرؤية في الآفاق الشرقية دليل على إمكان رؤيته في الآفاق الغربية، بل ربما يكون رؤية الهلال فيها أكثر وضوحاً من الآفاق الشرقية، وهذا بخلاف العكس، فإذا رُئي في الآفاق الغربية لا يكون دليلاً على إمكان رؤيته في الآفاق الشرقية عند غروب فيها، لإمكان تولّد الهلال القابل للرؤية بعد تجاوزه الآفاق الشرقية.

الثامن: إذا خرج القمر عن المحاق وتكوّن الهلال الشرعي على وجه صار قابلاً للرؤية لأوّل وهلة في أُفق خاص بحيث لم يكن هناك أي هلال قبلها. فعندئذ تكون نسبة الآفاق إلى ذلك الأُفق مختلفة حسب اختلافها في طول البلد.

فالآفاق الواقعة غرب ذلك الأُفق بين آخر نهارها أو وسط نهارها أو أوائل فجرها، كما أنّ الآفاق الشرقية غطها الليل فهي بين وسط الليل أو آخره.

فما هو المنهج المتبع للتعرف على بداية الشهر

القمري؟ هناك احتمالات:

١. أن يكون ثبوت الشهر أمراً مطلقاً لا نسبياً بمعنى أنّ تكوّن الهلال وصيرورته قابلاً للرؤية في نقطة من نقاط العالم، يكون سبباً لثبوت الشهر الشرعي في جميع العالم.

وبعبارة أُخرى: خروج القمر عن المحاق وقت الغروب في نقطة، يعد بداية الشهر القمري لعامة الآفاق.

٢. أن يكون ثبوت الشهر في نقطة من نقاط العالم سبباً لثبوت الشهر الشرعي في الآفاق التي تشترك مع هذا الأُفق في جزء من الليل وإن كان ساعة واحدة من غير فرق بين الآفاق الغربية والشرقية، وعلى هذا يكون ثبوت الشهر أمراً نسبياً لكن في دائرة كبيرة ويشارك هذا الوجه مع الوجه الأوّل في أنّ خروج القمر عن تحت الشعاع في نقطة وقت الغروب، يكون بداية الشهر الشرعي في البلاد التي تشارك بلد الرؤية في جزء من الليل.

٣. أن يكون إمكان الرؤية الذي هو أوّل الولادة الشرعية للهلال سبباً لكونه شهراً شرعياً للنقاط التي يُرى فيها الهلال عند غروبهم إذا لم يكن هناك مانع، كما هو الحال في الآفاق الغربية بالنسبة إلى الأُفق الذي رُئي فيه الهلال، ولكن لا يتّسم الزمان بالشهر الشرعي إلّا بعد غروب الشمس في كلّ أُفق على نحو يمكن للإنسان رؤية الهلال إذا لم تكن موانع وعوائق.

أمّا الاحتمال الأوّل فهذا مما لا يمكن الالتزام به، إذ معنى ذلك أن نلتزم ببدء الشهر فيه من ثلث الليل ونصفه ويكون ذاك بداية الشهر الشرعي في تلك الآفاق.

والثاني هو خيرة المحقّق الخوئي كما سيوافيك، و هو أخف إشكالاً من الأوّل، وهو يشارك الأوّل في الإشكال في بعض النقاط.

وأمّا الثالث وهو نقيّ عن الإشكال، إنّما الكلام فيما يستفاده من الروايات.

التاسع: انّ الصوم والإفطار وإن علّق على الرؤية في كثير من الروايات، لكنّ الرؤية طريق إلى العلم بخروج القمر عن المحاق، ويدلّ على ذلك أُمور:

١. إقامة البيّنة مقام الرؤية، وهذا دليل على أنّ الرؤية مأخوذة بنحو الكاشفية، فلو كشفت عن الهلال حجّة شرعية –أخرى – تقوم مقامها.

٢. عدّ الثلاثين من أوّل يوم رُئي فيه الهلال حيث يحكم بخروج الشهر السابق ودخول اللاحق.

٣. وجوب قضاء صوم يوم الشك إذا أفطر لعدم ثبوت الهلال ثمّ ثبت ولادة الهلال في ليلة ذلك اليوم.

٤. إذا رُئي الهلال في ليلة التاسع والعشرين من صومه انكشف انّه أفطر في شهر رمضان يوماً.

٥. إذا صام بنية آخر شعبان فتبيّن انّه من شهر

رمضان، فقد صحّ صومه. وهذه الفروع كلّها منصوصة، وقد أفتى على ضوئها العلماء، وهذا يكشف عن كون الرؤية أخذت طريقاً لوجود الهلال في الأُفق وقت المغرب.

العاشر: قد عرفت أنّ الموضوع هو الرؤية، فهل هي منصرفة إلى العين العادية أو يعمّها والعين ذات البصر الحاد، وعلى كلّ تقدير فهل الموضوع هو الرؤية بالعين المجردة أو يعمّ الرؤية بالعين المسلحة المستندة إلى النظارات القوية؟

المشهور هو الأوّل، فلا تكفي الرؤية بعين ذات البصر الحاد كما لا تكفي الرؤية بالآلات الرصدية، و ما هذا إلّا للانصراف.

نعم، لا بأس بالاستعانة بالنظارات لتعيين المحل، ثمّ النظر بالعين المجردة، فإذا كان قابلاً للرؤية ولو بالاستعانة بتلك الآلات في تحقيق المقدمات كفى وثبت الهلال[1]، ولكن يمكن التفريق بين الرؤية بالعين ذات البصر الحاد، فإذا افترضنا في بلد يوجد فيها ثقتان لهما حدة البصر فرأيا الهلال بالعين المجرّدة، وشهدا عند الحاكم فهل عليهما أن يصوما أو لا؟

وعلى الفرض الأوّل هل تقبل شهادتهما عند الحاكم أو ترد؟

لا أظن أن يلتزم الفقيه بعدم وجوب الصوم عليهما، كيف وهو على خلاف النص.

(١) مستند العروة الوثقى:٢/ ١١٧-١١٩.

١. روى علي بن جعفر أنّه سأل أخاه موسى ابن جعفر عليه السلام عن الرجل يرى الهلال في شهر رمضان وحده لا يبصره غيره، أله أن يصوم؟ قال: «**إذا لم يشك فليفطر وإلّا فليصم مع الناس**»[2].

٢. روى علي بن جعفر في كتابه عن أخيه، قال: سألته عمّن يرى هلال شهر رمضان وحده لا يبصره غيره أله أن يصوم؟ فقال: «**إذا لم يشك فيه فليصم وحده وإلّا يصوم مع الناس إذا صاموا**»[3].

وإنّما الكلام في الثاني، فهل للحاكم أن يرد شهادتهما مع علمه بوثاقتهما وعدم كون المورد مظنة الخطأ، لأنّه إنّما يكون كذلك إذا كان الجوّ صحواً وادّعى رجلان الرؤية ولم يكونا من ذوي البصر الحاد، ويؤيد ذلك انّهما لو ادّعيا الرؤية و رُئي الهلال في ليلة التاسع والعشرين فليس للحاكم إلّا الحكم بالإفطار والأخذ بقولهما.

إنّما الكلام في الرؤية بالآلات الرصدية، فالظاهر انصراف النص عنه، وقد عرفت الفرق بين الولادة الطبيعية للهلال والولادة الشرعية، وانّ الثاني إنّما يتم إذا خرج القمر.

[رؤية الهلال واختلاف الآفاق الصلاة والصوم في الأراضي القطبية]

[مقالات الاصول]

(٢) الوسائل: ٧، الباب ٤ من أبواب أحكام شهر رمضان، الحديث ١و٢.

(٣) الوسائل: ٧، الباب ٤ من أبواب أحكام شهر رمضان، الحديث ١و٢.

حجية القرآن الشريف

الشيخ هادي كاشف الغطاء

اتفقت كلمة أصحابنا من قديم الدهر بل وسائر علماء الإسلام منذ كان للعلم حملة، على أن القرآن الشريف حجة، بمعنى أنه يجب الرجوع إليه ولكن صاحب الفوائد المدنية نفى عنه الحجية وذهب إلى أنه لا يجوز الأخذ بشيء منه إلا بتفسير من المعصومين عليهم السلام فلا يصح التفسير لكتاب الله إلا بالمسموع منهم، والظاهر أنه أول شخص قال بهذه المقالة وتبعه في ذلك جماعة منهم الشيخ (الحر العاملي) صاحب الوسائل والحق أن فهم القرآن الشريف والعلم بمعانيه ومقاصده على أقسام أربعة:

أحدها: مختص بالله تعالى وذلك كقوله تعالى: **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾** فإن هذه الآية الشريفة تدل على اختصاص بيان وقت الساعة الواردة في القرآن الشريف بالله تعالى.

ثانيها: ما هو مجمل غير ظاهر المراد مثل قوله تعالى: **﴿أَقِمِ الصَّلاةَ﴾** فإن تفصيل أعداد الصلاة وعدد ركعاتها وكيفيتها لابد من تفسير المعصوم وبيانه إياها.

ثالثها: ما يكون اللفظ مشتركا بين معان كثيرة ويمكن أن يكون كل واحد منها هو المراد كلفظ (القرء) فإنه يطلق على الحيض والطهر، ففي هذه الصور الثلاث لا يجوز أن يؤخذ بأحد المعاني ويفسر اللفظ به إلا ببيان وتفسير من المعصوم لا بالرأي ولا بالفكر، وما ورد من الأخبار كقوله صلى الله عليه وآله «**من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار**» ناظرة للأقسام الثلاثة.

رابعها: ما يكون قطعي الدلالة واضح المعنى، ويسمى بالنص أو يكون ظاهر المعنى يتبادر لكل من عرف اللغة العربية وخوطب بها مثل

قوله تعالى: ﴿**وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِ**﴾ فإنه ظاهر المعنى وهذه الصورة هي محط البحث وموضع النزاع. والحق أن ما كان من القرآن الشريف نص ظاهر أو يرد نص معتبر في بيانه، حجة يجب العمل به مطلقاً ما لم يثبت كونه منسوخاً أو معروضاً عن ظاهره. وأما المجمل فيجب التوقف في تفسيره والعمل به إلا أن يرد تفسير وبيان له يعول عليه والدليل على أن ما ذكرناه حجة أمور:

(الأول) الإجماع الذي ذكرناه.

(الثاني) قول النبي صلى الله عليه وآله «**أني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً**» فإن القرآن الشريف إذا لم يكن حجة يتمسك به، فأي فائدة في تخليفه لنا وأي وجه للأمر بالتمسك به.

(الثالث) أن القرآن الشريف قد نزل لبيان الأحكام الشرعية والمواعظ الإلهية والدعوة للدين الحنيف والإرشاد لما فيه الخير، والإنذار بما فيه الشر.

(الرابع) سيرة المسلمين واحتجاج بعضهم على بعض بآياته الكريمة والسيرة حجة.

(الخامس) أنه ولو لم يكن حجة علينا، لما حصل به البيان للأحكام الشرعية ولا الإرشاد للدعوة الإسلامية ولا الوعد ولا الوعيد ولا البلاغ ولا التبليغ وفي خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام من الاستدلال بالآيات ما فيه غنى وكفاية يرشد إلى حجية القرآن، منها قوله تعالى: ﴿**هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ وقوله: ﴿**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القرآن أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ فإن القرآن إذا لم يكن حجة عليهم، لما كان وجه لتوبيخ الله (عز وجل) الكفار على عدم تدبر القرآن.

ومما يدل على ذلك ما ورد من عرض الأخبار على كتاب الله وما خالف الكتاب منها فهو باطل وزخرف، فإن الكتاب لو لم يكن حجة لما كان وجه للأمر بعرض الأخبار عليه، وأما ما ورد من الأخبار ما يتخيل فيه عدم حجية الكتاب فلابد من تأويله أو طرحه فإنها قد خالفت الآيات المتقدمة الدالة على حجية القرآن والإجماع والسيرة والأخبار الكثيرة.

[الهادي فيما يحتاجه التفسير من مبادي]

شيخوخة الاجازة

الشيخ باقر الايرواني

اخذ الروايةَ من شخص له صور متعددة، فتارة يسمع التلميذ الرواية من الاستاذ، واُخرى يقرأ الاستاذ الروايةَ على التلميذ، وثالثة يجيز الاستاذ التلميذ، بان يدفع له الكتاب الذي سجل فيه الروايات وجمعها فيه ويقول له اجزتك في ان تروي عني الروايات الموجودة فيه.

ويصطلح على هذا الشكل الثالث بتحمل الرواية بنحو الاجازة. كما ويصطلح على صاحب الكتاب الذي صدرت الاجازة منه بشيخ الاجازة.

وقد وقع البحث في ان كون الشخص من مشايخ الاجازة هل يكفي لإثبات وثاقته.

والبحث عن هذه النقطة مهم جداً، فان الشيخ الطوسي قد وصلته كثير من الأُصول الحديثية التي الَّف منها كتابيه التهذيب والاستبصار بتوسط اشخاص لم يوثقوا بالخصوص وانما هم من مشايخ الاجازة لا أكثر من قبيل أحمد بن محمد بن الحسن بن الوليد الذي يروي عنه الشيخ الطوسي بعض الأُصول بواسطة الشيخ المفيد.

وهكذا أحمد بن محمد بن يحيى، وأحمد ابن عبد الواحد المعروف بابن عبدون أو بابن الحاشر، وعلي بن محمد بن الزبير القرشي، وأبي الحسين بن أبي جيد وغيرهم.

ان شيخوخة الاجازة إذا لم تكف لإثبات الوثاقة فسوف يشكل الأمر في كثير من الروايات بسبب هؤلاء، الأمر الذي صار سبباً للتفكير في ابداع طرق جديدة للتغلب على المشكلة من ناحية هؤلاء.

وممن اختار كفاية شيخوخة الاجازة في اثبات التوثيق الشيخ البحراني في حدائقه ج ٦ ص ٤٨ والشيخ اغا رضا الهمداني في صلاته ص ١٢ وغيرهما بل لعل الرأي المشهور والسائد هو ذلك.

إلّا ان بعض المتأخرين كالسيد الخوئي والسيد الشهيد رفضوا ذلك وقالوا بان شيخوخة الاجازة لا تدل على الوثاقة.

وقرَّب السيد الخوئي ذلك بان فائدة الاجازة ليست إلّا ان الشيخ المفيد مثلاً سوف يحق له بسبب الاجازة ان يقول اخبرني احمد بن محمد بن الحسن بن الوليد بهذه الاخبار الموجودة في الكتاب الذي اجازني روايته وكأنه يصير قد سمع الرواية منه.

وحيث ان سماع الثقة الرواية عن شخص ونقلها عنه لا يدل على وثاقته ـ لما تقدم من ان رواية الثقة عن شخص لا تدل على توثيقه ـ فلا يمكن ان تكون شيخوخة الاجازة دليلاً على التوثيق[1].

ويمكن ان نقول في مناقشة ذلك: ان شيخ الاجازة إذا كان ممن يعرف بكثرة اخذ الاجازة عنه فذلك يكفي في الدلالة على التوثيق، إذ من البعيد ان يذهب اعاظم الثقات إلى شخص ويستجيزونه في رواية كتاب وهو ليس بمحرز الوثاقة عندهم.

وجرِّب ذلك من نفسك، فهل تذهب إلى

(١) معجم رجال الحديث ١: ٧٧.

شخص وتأخذ منه الاجازة في رواية احاديث كتاب أو كتابين وانت لا تحرز وثاقته؟!!

واذا قلت: ان ما ذكرته من الاستبعاد منتقض بما ينقله الشيخ الصدوق في كتابه عيون اخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٢٧٩ من ان احد مشايخه المسمى بأحمد بن الحسين بن أحمد بن عبيد النيسابوري المرواني كان ناصبياً ولم يلقَ انصب منه، وبلغ من نصبه انه كان يقول اللهم صلِ على محمد فرداً ويمتنع من الصلاة على آله الطيبين الطاهرين.

كان الجواب: ان هذا يدل على فساد العقيدة، وهو لا يتنافى والوثاقة.

على ان ما ذكرناه من الاستبعاد مختص بمشايخ الاجازة الذين هم من الخاصة دون ما إذا كانوا من العامة فان الاجلاء قد يأخذون الاجازة من العامة، لبعض الأغراض الخاصة كما ينقل عن الشهيد الأول (رحمه الله) حيث قيل إن له اجازات كثيرة من العامة.

واذا قلت: اذا كانت الشيخوخة كافية في اثبات الوثاقة فلماذا لم ينص الشيخ والنجاشي على وثاقة أحمد بن محمد بن الحسن بن الوليد وامثاله.

ان عدم التنصيص على وثاقتهم يدل على عدم ثبوتها عندهما.

قلت: اجاب السيد البروجردي عن ذلك بان الكتب الرجالية هي: رجال النجاشي، ورجال الكشي، ورجال الشيخ.

اما رجال النجاشي فهو موضوع لاستقصاء اصحاب الكتب، ولعل أحمد بن محمد وامثاله ليس لهم كتب.

واما رجال الكشي فلأنه موضوع لذكر من توجد رواية في حقه، وهؤلاء ليس في حقهم رواية.

واما رجال الشيخ فالظاهر انه كان بصورة المسودة وكان غرض الشيخ الرجوع اليه ثانياً لتنظيمه وترتيبه وتوضيح حال بعض المذكورين فيه كما يشهد لذلك اقتصاره في بعض الرواة على مجرد ذكر اسمه واسم أبيه من دون تعرض لبيان حاله أكثر من ذلك.

وكذا ذكره بعض الرواة مكرراً وغير ذلك مما يوجب الظن بعدم بلوغ الكتاب إلى مستواه المطلوب، وما ذاك إلّا لكثرة اشتغال الشيخ بكثرة التأليف والتصنيف بحيث لو قسمت مدة حياته على تأليفاته لا يقع مقابل كتابة رجاله إلّا ساعات معدودة[1].

مسلك السيد بحر العلوم وجماعة:

وتغلباً على مشكلة مشايخ الاجازة ـ بناء على عدم كفاية الشيخوخة في اثبات الوثاقة سلك السيد بحر العلوم وجماعة مسلكاً

(١) نهاية التقرير ٢: ٢٧٠.

آخر، فقد ذكر ـ بحر العلوم ـ في رجاله عند البحث عن سهل بن زياد ج ٣ ص ٢٥: ان الرواية التي يشتمل سندها على احد مشايخ الاجازة صحيحة وحجة، ولكن لا من جهة ان شيخوخة الاجازة تكشف عن الوثاقة بل من جهة ان الكتب المأخوذ منها الرواية معلومة ومتواترة كتواتر الكتب الأربعة في زماننا هذا، فكما ان الكتب الأربعة في زماننا معلومة النسبة إلى مؤلفيها ولا يحتاج اخذ الرواية منها إلى وجود طريق معتبر اللهم إلّا من باب التبرك والتيمن فكذلك الحال في الأُصول المأخوذ منها الروايات في ذلك الزمان هي معلومة النسبة إلى اصحابها ولا يحتاج أخذ الرواية منها إلى طريق صحيح، ومعه فلا يضر وجود احد مشايخ الاجازة أو غيرهم ممن لم يوثق في الطريق ما دام المقصود من الطريق التبرك والتيمن لا أكثر.

واضاف (قدس سره) قائلاً: وينبه على ذلك طريقة الشيخ طاب ثراه، فانه ربما يذكر تمام السند كما هو عادة القدماء وربما يسقط المشايخ ويقتصر على ايراد الروايات، وليس ذلك إلّا لعدم اختلاف حال السند بذكر المشايخ واهمالهم.

وقد اشار الشيخ النوري في مستدركه ج ٣ ص ٣٧٣ في أول الفائدة الثالثة إلى هذه الطريقة ونسبها إلى الشهيد الثاني وغيره.

وممن اختارها الحر العاملي في وسائل الشيعة في أول الفائدة الخامسة.

وذكر في الفائدة التاسعة بعض القرائن الدالة على صحة الكتب المأخوذ منها الروايات وتواترها وانهاها إلى اثنتين وعشرين قرينة.

ولربما تظهر أيضاً من الشيخ التستري (رحمه الله) في قاموس رجاله فراجع.

ونحن سوف نتعرض ان شاء الله تعالى إلى هذه الطريقة في موضع ثان مناسب وكيفية مناقشتها إلّا انه مؤقتاً نقول: ان نفس السيد بحر العلوم في ج ٤ ص ٤٧ عند تعرضه لبعض الفوائد ذكر ان تلك الكتب ليست متواترة واقام بعض الشواهد على ذلك، ومعه تبقى الحاجة إلى سند صحيح على حالها.

[دروس تمهيدية في القواعد الرجالية]

علي عليه السلام منقذ الموقف

السيد زهير الاعرجي

فزت ورب الكعبة

الشيخ باقر شريف القرشي

التاريخ الصحيح

العلامة الاميني

جُغرافية كربلاء القديمة

السيد هبة الدين الشهرستاني

عليه السلام منقذ الموقف

فتح مكة

السيد زهير الاعرجي

كان فتح مكة عملية تأريخية ضخمة ينبغي فهم آثارها أو مقتضياتها بنفس درجة فهم اسبابها أو عللها، فمع ان شجاعة رسول الله صلى الله عليه وآله والامام عليه السلام الفائقتين كانتا من أهم عللها، فإن آثارها كانت خطيرة للغاية، ذلك ان فتح مكة وضع القيادة الدينية الاجتماعية للعالم بيد المسلمين بعد ان كان قادة المشركين يحكمون الناس بالظلم ويعيثون في الارض فساداً، فدخل الناس مؤمنين باطناً وظاهراً، في دين الله افواجاً، وقد تنبأ كتاب الله المجيد بتلك الاحداث فقال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١ – ٣].

وأصبح الاسلام بعد فتح مكة قوّة عالمية تستطيع مواجهة قوى الفرس أو الروم والانتصار عليهما، وقادرة على تثبيت الأمن العالمي في ذلك الوقت تحت شعار: لا إله الا الله، محمّد رسول الله، وبذلك كان فتح مكة اعادة لبناء التركيب السياسي والاجتماعي للعالم على ضوء الدين الجديد في وقت كان العالم يبحث فيه عن قيادة جديدة تحقق العدل الاجتماعي والأمان والتوحيد، فكانت قيادة رسول الله ﷺ تحقق ثبات دولة الايمان العالمية ونظامها الامني والحقوقي، والسبب في ذلك ان العالم يتضمن شعوباً متباينة في التقاليد والعادات واللغات، ولا يمكن ان يجمعها الا دين سماوي واحد، فكان الاسلام هو الدين القادر على جمع ذلك العدد الهائل من البشر تحت سقف خيمة واحدة وفي ظل لواء واحد، ولا يستطيع احد تحمل مسؤولية ادارة ذلك التجمع العالمي اجتماعياً وسياسياً الا رسولٌ يوحى اليه، فكان رسول الله ﷺ هو حامل المسؤولية العالمية، وكان من خلفه المؤهل الاول لتسلّم القيادة الدينية بعده ﷺ أمير المؤمنين عليه السلام.

وقد كان علي عليه السلام موضع ثقة رسول الله ﷺ في فتح مكة فحينما هتف أُناسٌ من المسلمين من الذين ما زالوا لم يفهموا ابعاد الدين بعد: اليومُ يوم الملحمة، اليوم تُستحل الحُرمة[1] دعاه النبي ﷺ لتدارك الوضع الخطير الذي كان سيؤدي حتماً الى سفك الدماء على غرار الجاهلية ولكن باسم الاسلام هذه المرّة وأمره ﷺ بحمل الراية والدخول الى مكة في المقدمة فكان علي عليه السلام منقذ الموقف حيث دخل مكة وهو يحمل راية التوحيد والسلام، وعندما قام خالد بن الوليد بقتل من قُتل من بني جُذيمة[2]، ودّاهم رسول الله ﷺ فبعث عليّاً عليه السلام لتسوية الوضع، وارشده ﷺ بالقول: يا علي، اخرج الى هؤلاء القوم، فانظر في أمرهم، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك[3].. وهكذا كان خلق الانبياء والاوصياء عليهم السلام، وهكذا تعامل رسول الله ﷺ في مكة مع الطلقاء.

[السيرة الاجتماعية للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام]

(١) سيرة ابن هشام: ج ٤، ص ٤٩.
(٢) م. ن: ج ٤، ص ٧٢.
(٣) م. ن: ج ٤، ص ٧٢.

التاريخ الصحيح

العلامة الاميني

لا يكون انبعاث أيّ فرقة من الفرق إلى تدوين التاريخ، أقل من انبعاث أخواتها إليه، فكل يتحرى منه غاية، ويرمي إلى غرض يخصه، فإن كان المؤرخ يريد به الحيطة بحوادث الدهر، والوقوف على أحوال الأجيال الغابرة، فالجغرافي يطلبه لتحقيق القسم السياسي به لاختلافه بتقلبات الدول، وانعكاف أمم على خطط معينة وانثيال أمم عنها وإن انبعث الخطيب إلى سبر غور التاريخ لما فيه من عبر وعظات بالغة في تدهور الأحوال،

وفناء الأجيال وهلاك ملوك، واستخلاف آخرين، وما انتاب أقواما من جراء ما اجترحوه من السيئات، وما فاز به آخرون بما جاؤوا به من صالح الأعمال، فالديني يبتغيه للوقوف على ما وطد به اسس المعتقد، وعلّى عليها صروحه وعلاليه، وإفرازه عما كان حوله من لعب الأهواء وتركاض أهل المطامع.

وإذا كان الأخلاقي يقصد به التجاريب الصالحة في ملكات النفوس التي تحلى بالصحيحة منها فرق من الناس فأفلحوا، وتردى بالرديئة منها آخرون فخابوا، فيستنتج من ذلك دستورا عاما للمجتمع ليعمل به متى راقه أن يأخذ حذرا عن سقوط الفرد أو ملاشاة الجامعة، فالسياسي يريد به الوقوف على مناهج الأمم التي تقدم بها الغابرون، ومساقط الشهوات التي أسفت بمعتنقيها إلى هوة البوار والضعة فغادرتهم كحديث أمس الدابر، ويريد به البصيرة فيما سلفت به التجاريب الصحيحة في المضائق والمآزق الحرجة، وافتراع عقبات كأداء، فيتخذ من ذلك كله برنامجا صالحا لرقي أمته، وتقدم بيئته.

والأديب يقتنص شوارد التاريخ؛ لأن ما يتحراه من تنسيق لفظه، وفخامة معناه، وما يجب أن يكون في شعره أو نثره من محسنات الأسلوب، ومقربات المغزى بإشارة أو استعارة، منوط بالاطلاع على أحوال الأمم والوقوف على ما قصدوه من دقائق ورقائق.

وإذا عممنا التاريخ على مثل علم الرجال والطبقات، فحاجة الفقيه إليه مسيسة في تصحيح الأسانيد، وإتقان مدارك الفتاوى، وبه يظهر افتقار المحدث إليه في مزيد الوثوق برواياته، على أن لفن الحديث مواضيع متداخلة مع التاريخ كما يروى من قصص الأنبياء وتحليل تعاليمهم، حيث يجب على المحدث المحاكمة بين ما يتلقاه! وما يسرده التاريخ! أو التطبيق بينهما إن جاءا متفقين في بيان الحقيقة.

والمفسر لا منتدح له من التوغل في التاريخ عندما يقف على آيات كريمة توعز إلى قصص الماضين وأحوالهم، لضرب من الحكمة، ونوع من العظة، وعلى آيات أخرى نزلت في شؤون خاصة، يفصلها التاريخ تفصيلا، والباحث إذا دقق النظرة في أي علم يجد أن له مسيسا بالتاريخ لا يتم لصاحبه غايته المتوخاة إلا به.

فالتاريخ إذاً ضالة العالم، وطلبة المتفنن، وبغية الباحث، وأمنية أهل الدين ومقصد الساسة، وغرض الأديب، والقول الفصل: إنه مأرب المجتمع البشري أجمع وهو التاريخ الصحيح الذي لم يقصد به إلا ضبط الحقائق على ما هي عليه، فلم تعبث به أغراض مستهدفة، ولم تعث فيه نزعات أهوائية ككثير مما ألف من زبر التاريخ التي روعي في جملة منها جلب مرضاة القادة والأمراء، أو تدعيم مبدأ، أو فكر مفكر، أو أريد به التحليق بأشخاص معلومين إلى أوج العظمة، والاسفاف بآخرين إلى هوة الضعة، لمغاز هنالك تختلف باختلاف الظروف

والأحـوال، أو اختلط فيه الحابل بالنابل، بتوسع المؤلفين لما حسبوه من أن الإحاطة بكل ما قيل توسع في العلم، وإحسان في السمعة، ذهولا منهم عن أن مقادير الرجال بالدراية لا بالرواية فأدخلوا في التاريخ هفوات لا تحصى، غير شاعرين بأن رواة تلك السفاسف زبائن عصبة، وحناق على عصبة، أو أنهم قصاصون غير مكترثين من الاكثار في النقل الخرافي أو الافتعال، إكبارا للسمعة، أو نزولا على حكم النهمة، فتلقتها عنهم السذج في العصور المتأخرة كحقائق راهنة، وتنبه لها المنقب فوجدها أحاديث خرافية فرفضها، غير مبال بالطعن على التاريخ، فلا شعر أولئك أنها وليدة تقاليد أو مطامع، ولا عرف هذا أن الآفة عن ورطات القالة، وسوء صنيع الكتبة، لا في أصل الفن، ولو ذهبنا إلى ذكر الشواهد لهذه كلها لخرج الكتاب عن وضعه، هكذا خفيت الحقيقة بين مفرط ومفرط، وذهبت ضحية الميول والشهوات.

[التاريخ الصحيح]

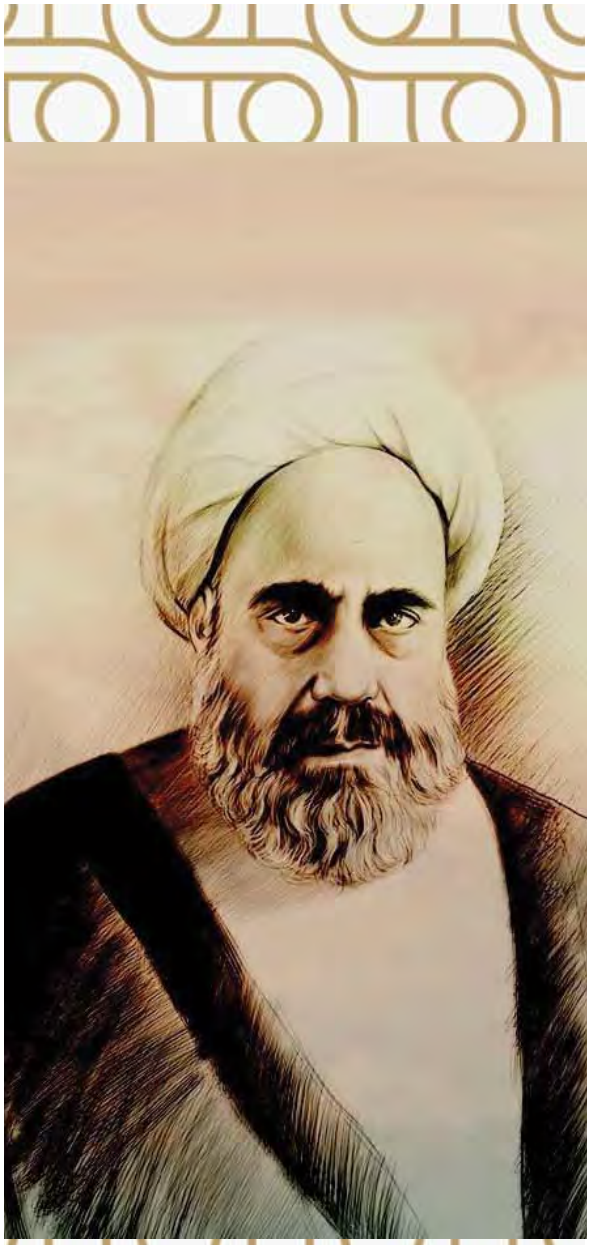

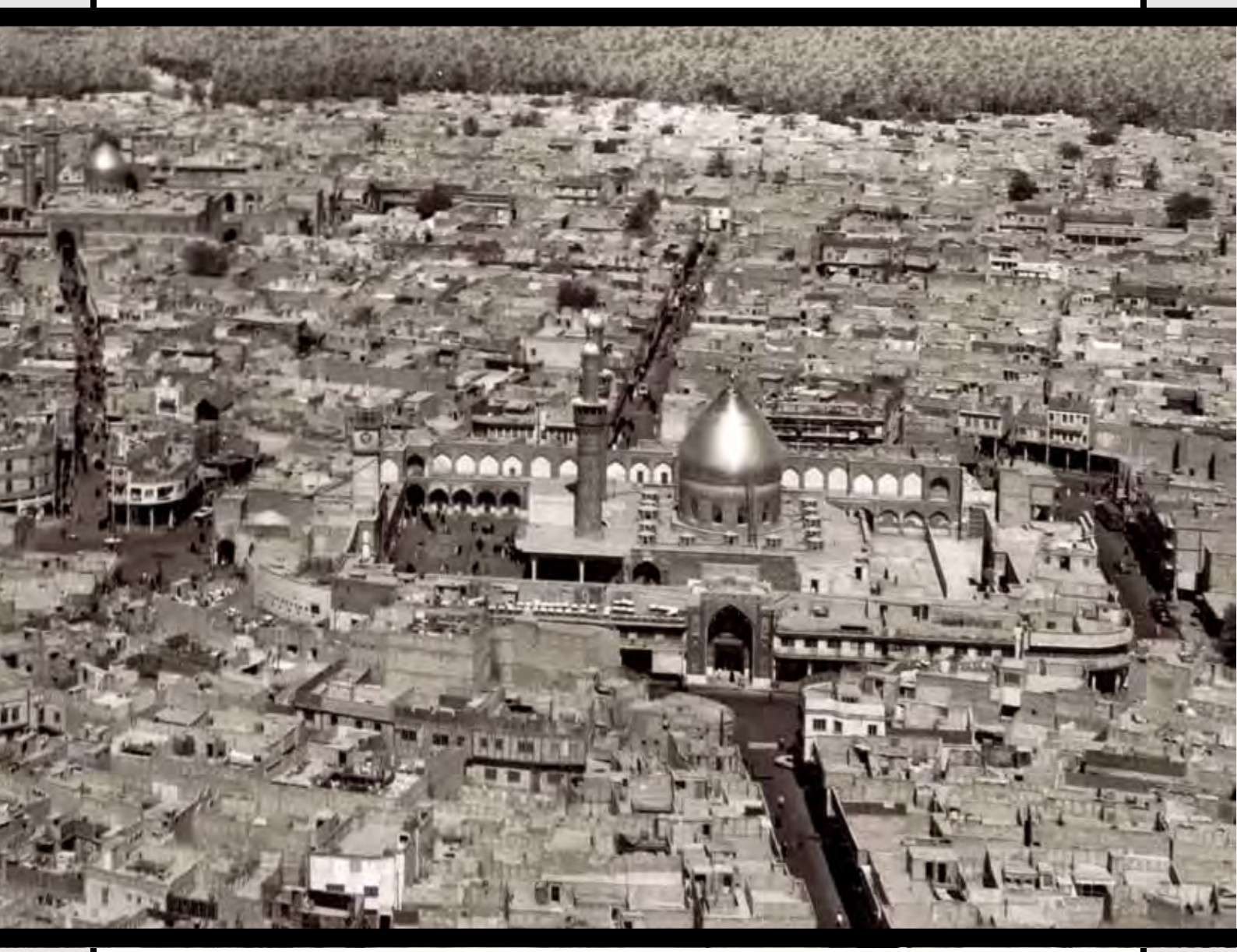

جُغرافية كربلاء القديمة

السيد هبة الدين الشهرستاني

إنَّ لهذا البحث صِلة قويَّة، بوضوح مَقتل الحسين عليه السلام وحوادثه التاريخيَّة، واستيفاء هذا البحث يُكلِّف صاحبه ؛ إذ لا يَجد المَنابع الوافية بالتفاصيل الجغرافيَّة عن كربلاء القديمة، في أيَّام قتل الحسين عليه السلام، وإنِّي أجتزي في أداء هذا الواجب بالمُمكِن، فحسب ما أظنُّه:

إنَّ كربلاء اسم قديم، مأثور في حديث الحسين، وأبيه، وجَدِّه عليهم السّلام، ومُفسَّر بالكرب والبلاء، وإنَّ كربلاء مَنحوتة مِن كلمة (كور بابل) العربيَّة، بمعنى مجموعة قُرى بابليَّة، منها نينوى القريبة مِن أراضي سَدَّة الهنديَّة، ثمَّ الغاضريَّة، وتُسمَّى اليوم أراضي الحسينيَّة، ثمَّ كربله بتفخيم اللام بعدها هاء، وتَقرُب اليوم مِن مدينة كربلاء جَنوباً وشرقاً، ثمَّ كربلاء أو عَقر بابل، وهي قرية في الشمال الغربي مِن الغاضريَّات، وبأطلالها أثريَّات مُهمَّة.

ثمَّ النَّواويس، وكانت مَقبرة عامَّة قبل الفتح الإسلامي، ثمَّ الحَير رواق بقعته المُشرِّفة، أو إلى حدود الصَحن الشريف، وكان لهذا الحائر وهدة فَسيحة، محدودة بسِلسلة تِلال مَمدودة، وربوات تبدأ مِن الشمال الشرقي حيث مَنارة العبد، مُتَّصلة بموضع باب السِّدرة في الشمال، وهكذا إلى موضع الباب الزينبيَّة مِن جِهة الغرب، ثمَّ تنزل إلى موضع الباب القبليَّة في جِهة الجنوب، وكانت هذه التِّلال المُتقاربة تُشكِّل للناظرين نصف دائرة، على شاكلة نون مدخلها الجَبهة الشرقيَّة، حيث يتوجَّه منها الزائر إلى مَثوى سيِّدنا العبّاس بن علي عليهما السلام، ويَجد المُنقِّبون حتَّى يومنا في أثافي البيوت المُحدِّقة بقبر الحسين عليه السلام، آثارَ ارتفاعها القديم في أراضي جِهات الشمال والغرب، ولا يجدون في الجِهة الشرقيَّة سِوى تربة رخوة واطئة، الأمر الذي يُرشد العرفاء إلى أنَّ وضعيَّة هذه البقعة، كانت مُنذ عصرها القديم واطئة مِن جِهة الشرق، ورابية مِن جِهتَي الشمال والغَرب على شَكل هلالي، وفي هذه الدائرة الهلاليَّة حوصر ابن الزهراء عليه السلام، في حربه حين قُتِل.

وأمَّا نهر الفرات، فكأن عموده الكبير يَنحدر من أعاليه، يَسقي القُرى إلى ضواحي الكوفة، وكذلك يَنشقُّ مِن عمود النهر، الشَّط مِن لدُن الرضوانيَّة نهر كفرع منه، يَسيل على بطاح ووهاد شمال شرقيِّ كربلاء، حتَّى ينتهي إلى قُرب مَثوى سيِّدنا العبّاس رضوان الله عليه، ثمَّ إلى نواحي الهنديَّة، ثمَّ يَنحدر فيقترن بعَمود الفرات في شمال غربيّ قرية ذي الكِفل (الكوثي القديمة)، ويُسمّى حتَّى اليوم (العَلقمي)، وكان هذا الفرات الصغير مِن صدره إلى مَصبِّه يُسمَّى (العلقمي).

والطفُّ اسم عامٌّ لأراضٍ تَنحسر عنها مياه النهر، وسُمّيت حوالي نهر العَلقمي البارزة مِن شواطئه، (طفّاً) لذلك، وسُمّيت حادثة الحسين عليه السلام فيه بواقعة الطفِّ.

[نهضة الحسين]

فزت وربّ الكعبة

الشيخ باقر شريف القرشي

[بعدما] شرع إمام المتّقين وسيّد الموحّدين في صلاته، وبينما هو ماثل بين يدي الحقّ يناجيه بقلبه وعواطفه ولسانه مشغول بذكره إذ هوى عليه بسيفه شقيق عاقر ناقة صالح عبد الرحمن ابن ملجم، ومعه شبيب بن بحيرة الأشجعيّ، وهو يهتف بشعار المجرمين الخوارج قائلا: «الحكم لله لا لك».

وعلا الرجس الدنس بالسيف رأس الإمام بطل الإسلام وعلم المجاهدين والمتّقين فقدّ جبهته الشريفة التي طالما عفّرها بالسجود لله تعالى، وانتهت الضربة الغادرة إلى دماغه المقدّس الذي ما فكّر إلّا في سعادة الناس وجمعهم على صعيد الحقّ والعدل وإزالة شبح الفقر والحرمان عنهم.

ولمّا أحسّ الإمام بلذع السيف انفرجت شفتاه عن ابتسامة الرضا بقضاء الله تعالى، وانطلق صوته يدوّي في رحاب المسجد: «**فزت وربّ الكعبة**».

يا أمير الحقّ! يا رائد العدل! يا بطل الإسلام! يا وصيّ رسول الله ﷺ! لقد فزت برضا الله تعالى، وفازت قيمك ومبادئك، وبقيت أنت وحدك رهن الخلود بما أوجدته في دنيا الإسلام من المثل والقيم الكريمة.

يا إمام المتّقين، لقد كنت من أعظم الرابحين بمرضاة الخالق العظيم، فقد رفعت منذ نعومة أظفارك كلمة الله، وجاهدت في سبيله كأعظم ما يكون الجهاد فحطّمت الأصنام، وطهرت الأرض من أوثان الجاهلية، وبذلت روحك-

بسخاء- للدفاع عن رسول الله ﷺ فبت على فراشه ووقيته من شرك الأوغاد، ولولا جهادك وجهاد أبيك أبي طالب لما أبقى القرشيّون ظلّاً للإسلام، وقضوا عليه منذ بزوغ نوره.

يا إمام الموحّدين، لقد فزت وانتصرت وخسر خصمك ابن هند، فأنت وحدك حديث الدهر مهما تطاولت لياليه أياما، وها هو معاوية لا يذكر إلّا بالخيبة والخسران، فقد قذف في مزبلة التأريخ تلاحقه أعماله التي سوّد بها وجه التاريخ.

وعلى أي حال فإنّه حينما اذيع النبأ المؤلم باغتيال الإمام سارع الناس إلى الجامع، فوجدوا الإمام طريحا في محرابه، وهو يلهج بذكر الله تعالى قد نزف دمه، وانهارت قواه، واصفرّ لونه، ثمّ حمل إلى داره والناس خلفه قد عجّوا بالبكاء والنحيب، قد أخذتهم المائقة، وهم يهتفون بذوب الروح قائلين بأسى وألم:

قتل إمام الحقّ والعدل ...

قتل أبو الضعفاء وأخو الغرباء ...

قتل أبو اليتامى والمساكين...

واستقبلته مخدّرات الرسالة بالصراخ والعويل، فأمرهنّ الإمام بالخلود إلى الصبر، والرضا بقضاء الله تعالى ...

وكان من أشدّ أبنائه لوعة الإمام الحسن الزكي ريحانة رسول الله ﷺ، فنظر إليه الإمام فقال له بلطف: «**يا بنيّ، لا تبك فإنّك تقتل بالسّمّ، ويقتل أخوك بالسّيف**».

وتحقّق ما أخبر به وصيّ رسول الله ﷺ وباب مدينة علمه، فلم تمض الأيام حتى اغتال معاوية الإمام الحسن بالسمّ، وكذلك استشهد أخوه الإمام الحسين سيّد الشهداء بصورة مروّعة في صعيد كربلاء ومعه أهل بيته نجوم الأرض، والصفوة الممجّدة من أصحابه، فقد حصدت رؤوسهم البغاة من شرطة يزيد بن معاوية.

[موسوعة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام]

الطريق الذي يؤدّي إلى السعادة
د. علي القائمي

التقوى والزهد والتنمية الاقتصادية
الشيخ محمد الريشهري

مرض جفاف القلب
السيد منير الخباز

المحيط التربوي
محمد تقي فلسفي

الطريق الذي يؤدّي إلى السعادة

د. علي القائمي

في الحياة الاجتماعية يمكن لإنسانين أو حتى لفئتين اختلفتا وانفصلتا عن بعضهما الجلوس على مائدة واحدة والتحاور بينهما وتسوية ما حصل من نزاع بقليل من المحبة والتسامح. وقد يعقب هذا الحوار الهادئ، ليس عودة العلاقة كما كانت عليه، بل وربما عودتها أقوى وأمتن من ذي قبل؛ وهذا لا ينطبق على عالم الصغار والشباب بل يتعداه إلى دائرة أوسع وأكبر.

إن ما يبعث على الأسف حقاً وجود بعض الأفراد الذين يعيشون سوية ويشتركون في الحياة معاً، ولكنهم يمضون حياتهم بالآلام والمتاعب دون أن يفكروا باتخاذ المواقف الصحيحة تجاه بعضهم أو أن ينتهجوا السلوك السليم الصائب، بل إنهم وبدل ذلك يزيدون الطين بلّة باتخاذهم المواقف الخاطئة، وبعدها يتمنون الخلاص من هذه الحياة الجهنمية التي صنعوها بأنفسهم!

نعم إنه أمر يبعث على الأسف حقاً أن يقوم زوجان، وفي مقتبل حياتهم المشتركة، وبسبب جهلهم وانعدام خبرتهم في اتخاذ المواقف، بتحويل عشهم الدافئ إلى جحيم مستعر. وبالرغم من ادعائهما النضج الفكري فإنهما يسدّان جميع الطرق التي تؤدّي إلى أن يعيشا بسلام وطمأنينة.

إن ارتكاب أحد الزوجين خطأ ما لا يبرر للآخر إعلان (الحرب) وتحويل المنزل إلى ساحة للعمليات والقتال؛ والمطلوب من الزوجين أن يحلا مشاكلهما واختلافاتهما في جوّ من التسامح

والمحبة والتضحية.. وهذا هو الطريق الذي يؤدّي إلى السعادة.

واجبات التربية:

لا تنحصر الواجبات الزوجية في تلك العلاقات المشتركة بينهما ومسؤوليتهما في تربية أبنائهما، بل إن هناك من الواجبات الأخرى ما يفوق ذلك حجماً.

إن واجباتهما تجاه بعضهما تربوياً وأخلاقياً مسألة جوهرية بالرغم من عدم وجود ما يشير إلى ذلك في عقد الزواج.

إن الرجل والمرأة مسؤولان عن إصلاح أفكار وآراء وسلوك بعضهما. إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الواجب على جميع المسلمين يشمل ـ أيضاً ـ الحياة الزوجية، بل إن الحب الحقيقي يتجسد في موقف الرجل تجاه زوجته وموقف المرأة تجاه زوجها ومحاولة كل منهما إنقاذ شريك حياته من سوء العاقبة وهدايته إلى الطريق الذي يؤدي به إلى السعادة في الآخرة.

وإذن فإن الرجل هو المسؤول المباشر عن زوجته في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذا فإن المرأة هي الأخرى مسؤولة أيضاً.

أخطاؤنا:

كل ابن آدم خطّاء، ليس هناك من لا يخطئ حتى أولئك الذين وصلوا المراتب العليا من الحكمة والعلم، والقلة القليلة جداً من البشر التي تخلو حياتهم من الأخطاء.

إن الأخطاء التي تحدث في الحياة الزوجية هي بمثابة نقاط سوداء تشوّه وتعكّر صفو الحياة المشتركة، بل وتهدد الأساس الأسري بالإنهيار. إننا، وبسبب جهلنا، وتربيتنا الخاطئة، وعدم تحملنا، وعقدنا المختلفة، نتسبب في إيذاء أزواجنا من خلال كلام جارح أو وجه عابس أو إشعارهم بالمنّ عليهم مما يعرض توازنهم النفسي إلى الخطر ويؤدي بهم إلى الشعور بالذل والمهانة.

مواقف مختلفة:

١. المكابرة والعناد:

والتي تنطلق من أنانيتنا وغرورنا لا غير. إن ارتكابنا الخطأ ثم اصرارنا عليه باعتباره موقفاً صحيحاً وأسلوباً صائباً في التعامل هو في الحقيقة نرجسية لا جدوى من ورائها سوى إيذاء أزواجنا وشعورهم بالتأسف على مصيرهم.

إن هكذا موقف هو بعيد كل البعد عن الإنسانية عندما لا يرى المرء سوى نفسه فقط ولا يفكر إلا بنفسه بل لا يشعر بوجود الآخرين من حوله؛ إن حياةً تقوم على هذا المنطلق، وعلى هذه الرؤية، حيث تكون السيادة للأقوى، لا يكتب لها الاستمرار بل لا يمكن اعتبارها حياة إنسانية.. إنها أشبه ما تكون بالحيوانية.

مسألة الكرامة:

قد يفكر البعض بأن الاعتراف بالخطأ سوف

يوجّه ضربة إلى كرامتهم ويحطّ من قدرهم أمام أزواجهم، غير أن العكس هو الصحيح، ذلك ان اعتراف المرء بخطئه لا يعدّ منقصة له أبداً ولن يجعله صغيراً أو حقيراً بل سوف يكبر في نظر الآخرين، وسيضيف إلى شخصيته بعداً آخر يجعله مثلاً أعلى. وإذا افترضنا أن ذلك سيحطّ من شأنه أمام زوجه ولكنه سيجعله كبيراً أمام الله سبحانه.

إن عدم اعترافك بالخطأ سيعرضك إلى عذاب نفسي وروحي ينغص عليك حياتك، فما هو الضرر إذن في أن تبادر إلى إرضاء ضميرك ووجدانك، وسعيك إلى ضبط نفسك تجاه زوجك ومراعاة العدل والإنصاف في تعاملك مع شريك حياتك.

بعد النظر:

ينبغي على الزوجين أن ينظرا ويفكرا في المدى البعيد إلى آفاق المستقبل، فإذا بادر أحدهما إلى الاعتذار عن خطئه فإن على الآخر أن يفتح له قلبه وذراعيه وأن لا يعتبر ذلك فرصة للتنكيل به والانتقام منه، بل ينبغي غض النظر عن أخطائه تلك.

إن اقدام أحد الطرفين على الاعتذار من شريك حياته يجب أن يعتبر خطوة إيجابية تستحق التقدير لا اللوم والتنكيل.

إن الحياة الزوجية لا تنهض على الانتقام؛ ما هي المصلحة التي تجنيها المرأة إذا أصبح زوجها رجلاً ضعيفاً محطّماً يتحمل أنانيتها وغرورها.

اعتذار المرأة:

كذلك نحذر الرجل فيما إذا أخطأت زوجته أن لا يلجئها إلى الاعتذار مما بدر منها من سلوك.

إن من المصلحة عدم الإصرار عليها، فجرح كرامتها سوف تكون له انعكاسات وخيمة على تربية الأطفال، إضافة إلى الفتور في علاقتها مع زوجها، ذلك أن شخصية المرأة تكمن في تلك العاطفة المخزونة، كما أن شخصية الرجل تكمن في ضبطه نفسه.

إنها زوجتك فدعها تشعر بالأمن في قربك. دعها تشعر بأنك ملجؤها الوحيد الذي يحميها من تقلباتِ الزمن. دعها تضع رأسها المثقل بالهموم على رأسك لتشعر بالراحة وتغفو.

ولو جرحت كرامتها وحطّمت كبرياءها عندها لن تكون زوجة محبّة لك ولن تكون أيضاً حضنا دافئاً لأبنائك.

تجنب الاعتراف في غير موضعه:

ربما نشاهد بعض الأزواج الذين يبادرون، ومن أجل وضع حد للنزاع والعراك، إلى الاعتراف بأخطاء لم يرتكبوها؛ وعلاوة على ذلك فإنهم يعتذرون إلى أزواجهم. ولعل لهذا الإجراء فوائد آنية معينة، ولكنه على المدى البعيد له آثاره التخريبية السيئة.

إننا نؤكد على الحفاظ على الدفء في الجو العائلي، ولكننا لا نقول أن ينذر أحد الزوجين حياته من أجل الآخر، ذلك أن كلاً منهما إنسان، وهو مسؤول أمام

ربه قبل أن يكون مسؤولاً أمام زوجه، وأن عقيدتنا الإسلامية لا تسمح لنا بإذلال أنفسنا إلى أي إنسان كائناً ما يكون، فالقيم الإنسانية يجب أن تكون في مأمن من التدمير، وأن تملّق الظالم، حتى على مستوى الأسرة، أمر لا يسمح به الدين ولا يتساهل فيه.

نعم، هناك الاعتراف بالخطأ.. الاعتراف بالظلم.. وهو أمر لا يسمح به الإسلام فحسب بل ويحث عليه لما فيه من الشجاعة والشهامة وما فيه أيضاً من تكامل الشخصية.

أما إذا انتفى الخطأ فلا معنى للاعتذار، وينبغي هنا الإصرار والسعي لإثبات البراءة.

السلوك الهادئ:

ينبغي على كلا الطرفين الالتزام بضبط النفس سواء في حالة الاعتذار أم في حالة سماع الاعتذار، ذلك أن الهيجان وعدم فسح المجال للآخر بالاعتذار سيكون سباحة في وجه التيّار مما يفوّت الفرصة على عودة الصفاء العائلي.

إن السلوك الهادئ يبعث الشعور بالطمأنينة في القلب وينمّي القوى العقلية والفكرية في النفس، فالرجل يطمح في أن يرى في زوجته حضن الأم الدافئ، كما أن المرأة تتمنى أن تجد لدى زوجها رعاية الأبوة وحنان الوالد.

ينبغي أن يكون سلوكك مع زوجتك عين ما تتمناه منها، وأن تكون لها ملجأً آمناً يمنحها الشعور بالطمأنينة والسلام. إنك إذا أخفقت في ذلك فقد تفكر زوجتك وبدافع غريزة الخوف إلى البحث عن ملاذٍ آخر مما يعقد الحياة الزوجية ويعرضها إلى أخطار كبيرة..

[الأسرة وقضايا الزواج]

مرض جفاف القلب

السيد منير الخباز

نتعرّض إلى هذا المرض النفسي الروحي، من خلال ثلاث زوايا:

الزاوية الأولى: أعراض المرض.

كثير منا مبتلى بمرض جفاف القلب، القلب الذي يقسو، والذي لا يرق، والذي لا ينفعل، مبتلى بمرض القسوة والجفاف، هذا المرض له عرضان:

العرض الأول: عدم اللذة بالأجواء الروحية

لا أجد لذة في قراءة الدعاء، ولا في قراءة القرآن، ولا في الصلاة، وفي الدعاء، عندما لا أجد لذة، أقرأ الدعاء والقرآن وأصلي بطريقة روتينية جافة يابسة جدًا، هذا يعني أنني أعيش مرض جفاف القلب وقسوة القلب، هذا يعني أنني أعيش هذا المرض المخيف.

العرض الثاني: عدم المبالاة بالذنب

كثير منا يذنب ولا يبالي بذنبه.. أذنبت وكل الناس تذنب! عدم المبالاة بالذنب، وعدم الندم، وعدم الحسرة، وعدم الاهتمام بأنني أذنبت، وأخطأت، ووقعت في الزلة، يكشف عن مرض قساوة القلب. ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «**من سرّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن**»، المؤمن هو الذي يستاء من السيئة. وورد عنه: «**إذا أذنب**

المنافق كان ذنبه كذبابة مرّت على أنفه، وإذا أذنب المؤمن كان ذنبه كجبل أبي قبيس على صدره»، المؤمن الحقيقي هو الذي يتوجّع، ويتألّم، ويتحسّر إذا صدر عنه الذنب، صغيرًا أم كبيرًا، عدم المبالاة بالذنب يعني أن الإيمان ضئيل، وأن مرض جفاف القلب مستحكم، «**ما لي كلما قلت قد صلحت سريرتي وقرب من مجالس التوّابين مجلسي، عرضت لي بلية أزالت قدمي**». هذه أعراض تكشف عن مرض جفاف القلب.

الزاوية الثانية: أسباب المرض

لماذا أنا مبتلى بمرض جفاف القلب؟ فلأسأل نفسي: ما هي الأسباب التي أدّت إلى أن أبتلى بهذا المرض؟

السبب الأول: البعد عن الأجواء الروحية.

طوال الوقت نحن مشغولون بالدراسة، أو مشغولون بالعمل، أو بالأهل والأطفال والسوق والعيال، إذا صليت الصلاة الواجبة، فهذا كافٍ! ٢٤ ساعة، نصف ساعة منها أرتبط بالله، فقط أصلي الصلاة الواجبة، كلها تستغرق نصف ساعة في اليوم، أي ان ٢٣ ساعة ونصف أنا بعيد عن الأجواء الروحية، البعد عن الأجواء الروحية، وعن القرآن، وعن الدعاء، وعن النافلة، وعن المأتم، وعن المسجد، وعن المجلس، سبب رئيسي في الابتلاء بمرض جفاف القلب وقساوته.

لأجل ذلك، أنت تقرأ في الدعاء: «**أم فقدتني من مجالس العلماء فخذلتني**»، مجالس العلماء تعني مجالس الذكر، ذكر الله، «**أم رأيتني آلف مجالس البطّالين فبيني وبينهم خلّيتني**»، مجالس البطّالين ليس عندهم شغل، أما المترفون الذين كل مجالسهم الأسهم والسوق والتجارة والأموال، هذه المجالس تربّي على جفاف القلب وقساوته، أو الذين مجالسهم غيبة للمؤمنين وطعن في الآخرين وهدر لكرامات الآخرين، هذه المجالس تبعدك عن الأجواء الروحية وتسبّب لنا مرض جفاف القلب وقساوته.

الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام وقف على السوق في الكوفة، رأى الناس مشغولين بالسوق، هذا يبيع، وهذا يشتري، وهذا يحلف،... إلخ، قال: «**أيها الناس، يا عبيد الدنيا وعمّال أهلها، إذا كنتم بالنهار تحلفون، وبالليل تنامون، وما بين ذلك أنتم غافلون، فمتى تهيّئون الزاد وتستعدون للمعاد؟!**»، إذا أنا طوال وقتي مشغول بالدراسة وبالوظيفة وبالأهل وبالأطفال، فمتى أهيِّئ زادي لقبري؟! متى أهيِّئ زادي للحدي؟! هذا السبب الأول.

السبب الثاني: ترادف الذنوب

ذنب على ذنب من دون توبة، من دون محطة استراحة، ومن دون محطة محاسبة، ومن دون محطة عتاب، سترادف على قلبي إلى أن يصبح القلب فحمة سوداء، قطعة سوداء لا نبض فيها

ولا حياة فيها، كما يقول القرآن الكريم: ﴿**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾، وورد عن النبي: «**إنَّ العبد إذا أذنب خرج في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب انمحت، وإن عاد عادت، حتى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها أبدًا**»، ترادف الذنوب يوجب ظلمة القلب واسوداده.

لأجل ذلك، ما لم تتب، وتفصل بالتوبة ستنتهي بالنتيجة إلى مرض قساوة القلب وجفافه، «**إلهي أشكو إليك نفسًا بالسوء أمّارة، وإلى الخطيئة مبادرة، وبمعاصيك مولعة، وإلى سخطك متعرّضة، تسلك بي مسالك المهالك، وتجعلني عندك أهون هالك**»، إلى أن قال: «**تسرع بي إلى الحوبة، وتسوّفني بالتوبة**»، دائمًا أؤخر التوبة، وأقول: أنا مشغول اليوم، اليوم أذنبت، سأتوب غدًا! وهكذا تترادف الذنوب وتجتمع إلى أن تؤدي إلى مرض جفاف القلب.

السبب الثالث: عدم التحفّظ على الصلاة

الصلاة لها أثر مهم، حتى لو كنت تصلي صلاة سريعة روتينية، لكن محافظتك على الصلاة في وقتها لها أثرٌ على قلبك شئت أم أبيت، القرآن الكريم يقول: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ**﴾، الصلاة معين، ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى**﴾، المحافظة على الصلاة في وقتها له أثر على قلبك حتى إن لم تلتفت إلى ذلك ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾، فإذا لم تحافظ على الصلاة، ولم تبالِ بأوقاتها، ولم تبالِ بطريقتها وكيفيتها، فهذا طريقٌ يؤدّي إلى مرض جفاف القلب. ولذلك ورد عن الصادق عليه السلام: «**لا تنال شفاعتنا مستخفًا بالصلاة**».

الزاوية الثالثة: طرق علاج المرض

هذه أعراض المرض، وهذه أسباب المرض، فما هي طرق علاج المرض؟ إذا أنا كنت مبتلى بمرض جفاف القلب، وقساوته، لا ألتذ بالدعاء، ولا بقراءة القرآن، أجد نفسي معرضة منصرفة عن هذا العالم الروحي، فما هو العلاج؟ كيف أعالج نفسي؟

الطريق الأول: محاسبة النفس

بدون محاسبة النفس لن يكون هناك علاج، ألا تحاسب نفسك على دراستك؟! أنت إذا كنت تدرس في الجامعة ألا تحاسب نفسك؟! إذا تأخّرت يومًا عن الدراسة، أو إذا سقطت في امتحان، أو إذا حصلت على معدّل غير جيّد، ألا تحاسب نفسك؟! ألا تعتبر نفسك مقصرًا؟! ألا توبّخ؟! ألا تعاتب؟! فليكن لك هذا الدور مع سلوكك، وذنوبك، ومعاصيك.

مبدأ محاسبة النفس هو العلاج، هو المنطلق لإصلاح القلب، ولتطهيره. ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا**»، وورد عن الإمام الكاظم عليه السلام: «**ليس منّا من لم يحاسب نفسه كل يوم**»، كل يوم

عندك جدول، قبل النوم اقرأ هذا الجدول، ماذا فعلت اليوم منذ الصباح إلى الآن؟ كم معصية وكم رذيلة وكم خطأ وكم طاعة وكم عملًا وكم حاجة مؤمن قضيتها؟ عندي جدول أستعرضه يوميًا، «**ليس منّا من لم يحاسب نفسه كل يوم، فإن عمل حسنة استزاد الله، وإن عمل سيئة استغفر الله وتاب إليه**».

الطريق الثاني: ترقيق القلب بالأدعية

كيف أسعى لترقيق القلب؟ من خلال الارتباط بأدعية الأئمة الطاهرين، عليك أن تخصّص وقتًا كل يوم لقراءة دعاء، لست معذورًا في ذلك، كل يوم خصّص نصف ساعة، أو ثلث ساعة، لقراءة دعاء، عندك ١٥ مناجاة للإمام زين العابدين، كل يوم اقرأ مناجاة واحدة، لا تأخذ أكثر من خمس دقائق، اقرأها بنهم، اقرأها بإقبال، وبجوع، وبعطش، وبظمأ، حتى تسترفد مضامينها الروحية، وتستلهم عطاءها.

أول مناجاة هي مناجاة التائبين التي تتعرّض إلى عملية تطهير القلب، «**إلهي ألبستني الخطايا ثوب مذلّتي، وجلّلني التباعد عنك لباسَ مسكنتي، وأمات قلبي عظيم جنايتي، فأحيني بتوبة منك يا أملي وبغيتي، ويا سؤلي ومنيتي، فوعزتك لا أرى لذنبي سواك غافرًا، ولا لكسري غيرك جابرًا**»، ثم تستمر في هذه المناجاة.

المناجاة تختلف عن الدعاء، فالدعاء أن تقرأ أي دعاء معين، لكن المناجاة تعني الخلوة، نحن نحتاج إلى الخلوة، أن تخلو بنفسك ليلًا، فهذه هي المناجاة.

أحاول أن أعاتب نفسي، أوبّخها، وأن أهذّبها، أحاول أن أصل إلى درجة البكاء، إذا وصلت إلى درجة البكاء حقّقت حقيقة المناجاة، البكاء ليس عيبًا، البكاء من الذنب علامة صحية على أن القلب حي، ومتفاعل، على ويعيش الهدى، حاول أن تعاتب نفسك، وأن تبكي نفسك على ذنبك.

المحيط التربوي

محمد تقي فلسفي

من أهم العوامل المؤثرة في تنمية فطرة الصدق عند الأطفال المحيط التربوي الذي يعيشون فيه، فعندما يكون الوالدان ملتزمين بالصدق بعيدين عن الكذب والاحتيال، فإن الطفل ينساق تلقائياً إلى طريق الصدق والاستقامة، ومن السهل جداً إزالة العوائق التي تقف في طريقه من الناحية النفسية.

وعلى العكس من ذلك فإن الوالدين اللذين لا يتورعان عن الكذب يعودان الطفل على هذه الصفة الذميمة من حيث لا يشعران، في أسرة كهذه يصبح الاهتمام بالظروف والعوامل النفسية للوقاية من الكذب عقيما. إن المحيط التربوي اهم العوامل الصانعة لكيان الطفل، ولا يمكن مقايسة أي من العوامل النفسية به، ذلك أن الطفل ينسجم مع المحيط الذي ينشأ فيه بصورة لا شعورية، وتنطبع في ذهنه صور الأشياء

التي يشاهدها أو يسمعها.

(إن محيط الصدق والشهامة المطلقة أهم عوامل الكفاح ضد الكذب. فإذا كانت الاستقامة مسيطرة على جو الأسرة أو المدرسة لم يقترب الطفل من الكذب، واذا صادف أن جرت كذبة على لسانه فإن التجارب تثبت أن هذه الكذبة لا تصل إلى حد الخيانة والاجرام ولا تبعث بجذورها في قلبه).

(إن الضمائر الحية لهؤلاء الأحداث تشبه الأعشاب الربيعية في النعومة واللطافة، فلأجل أن تلاقي تنمية مناسبة ومتكافئة يجب أن تبقى في مأمن من هبوب الرياح الشديدة والميول التي قد تدحرها الى الأبد، ومن المؤسف أن نجد أن هذه الفسائل الغضة كثيراً ما تجابه بالرياح الهوجاء).

(كثيراً ما يصادف وجود أخاديد واسعة بين أفعالنا ونصائحنا. هناك بون شاسع بين ما يلاحظه الطفل في أفعالنا ويدركه من سلوكنا، وبين الأوامر والنصائح التي نصدرها في تقبيح عمل معين وذمه!).

(قد اعتاد الكثيرون على أن يقولوا للأطفال: (افعل ما أقوله لك! لا تلتفت الى ما أفعل) في حين أنهم يجهلون أن هذه النصيحة تستتبع مأساة عظيمة، ان الطفل لا يخضع للنصيحة التي لا يعيرها الوالدان أهمية ما وعلى فرض أنه استطاع أن يتوصل من عمل الكبار الى أن السلوك المفضل للأطفال يختلف عن السلوك المفضل للكبار فإنه سيحطم تلك القيود في أول فرصة يدرك فيها الحرية، ويخرج عن تلك التعاليم التي وجهت اليه في صباه).

إن محيط الأسرة هو المدرسة الأولى للطفل، وإن سلوك الوالدين يمكن أن يصبح مقياساً لازدهار الأسرة أو انحطاطها.

إن امرأة أو رجلاً بغض النظر عن عنوان الأمومة أو الأبوة عندما تصدر عنه كذبة يكون قد ارتكب معصية كبيرة واستحق بذلك عقوبة. أما عندما يكون هذا الرجل أباً أو عندما تكون المرأة أمّاً فإن الكذبة الصادرة عنه أمام عيني الطفل النافذتين، وأذنيه الواعيتين لا يمكن أن تعد ذنباً واحداً. ففي هذه الصورة يكون ذنب آخر غير ذنب الكذب قد ارتكب، ذلك هو ذنب التعويد على الكذب وهذا أعظم بكثير من الذنب الأول.

[الطفل بين الوراثة والتربية]

التقوى والزهد.. والتنمية الاقتصادية

الشيخ محمد الريشهري

- التقوى والتنمية

نقرأ في النصوص ذات الصلة بالمبادئ الاعتقادية للتنمية، أن الله سبحانه ضمن لثلاثة أصناف رزقهم من غير احتساب؛ بحيث تأتيهم أرزاقهم خارج نطاق الحسابات العادية، هؤلاء هم: المتقون، وأهل التوكل، والمتفقهون في الدين. يمكن القول بإزاء هذه النصوص: إن ذكر الطائفتين الثانية والثالثة جاء من باب ذكر الخاص بعد العام؛ من حيث إن التوكل والتفقه في الدين هما من اللوازم البارزة للتقوى؛ إذ لابد من تحقق التقوى بمفهومها الكامل من التوكل والتفقه معا.

سؤالان مهمان يُثاران إزاء هذه الرؤية؛ الأول: ما المقصود من أن التقوى هي سبب للرزق من غير المسارات الطبيعية؟ ثم هل التقوى – كسبب للرزق – هي في طول العمل وبذل الجهد، أم هي في عرضهما؟

لا ريب أن الإقرار بدور تؤديه التقوى في التنمية الاقتصادية يأتي في طول العمل وامتداده لا في عرضه. ما يمكن أن يثبت هذا المدعى بوضوح هو:

أولا: السيرة القطعية لأنبياء الله ورسله الكرام وأئمة الدين، وهم الذروة في أهل التقوى والقمة الشاهقة لأهل التوكل؛ فهذه سيرتهم تشهد بنصاعة على أن مسار التقوى والتوكل في حياتهم إنما هو في امتداد العمل، لا في عرضه[1].

ثانيا: ثمّة آيات وروايات مستفيضة بل متواترة تحثّ الناس على المثابرة والعمل، وتدعو المسلمين إلى تأمين احتياجاتهم الحياتية من خلال تحمل الأذى وتجشم العناء في هذا السبيل، وهي إلى ذلك تُرجع الفقر والتخلف إلى التواني والكسل، ثم تلوم من يُلقي بكلّه على المجتمع ويكون عالة عليه، بل تلعن من يقصر في إيفاء متطلبات عائلته ولا ينهض بمسؤولية تأمين احتياجاتها، وتصفه بأنه مذنب. كل هذه تشهد على أن الدور الذي تلعبه التقوى يأتي إلى جوار العمل، لا متقاطعا معه[2].

ثالثا: ما ورد من أحاديث في تفسير الآية الكريمة: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ**

---

(١) انظر: ص ١٣٦، (سيرة الأنبياء والأوصياء في طلب الرزق).

(٢) انظر: ص ١٤٤ (التحذير من التواني في العمل).

﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] هو أنصع شاهد على ما ندعيه؛[١] فحين تناهى إلى سمع النبي ﷺ أنّ جمعاً من الصحابة لم يدركوا مغزى الآية ولم يفهموها على نحو صحيح حيث تركوا العمل وانصرفوا إلى العبادة، بعث إليهم وسألهم: «**ما حمَلَكم على ما صنعتم؟**».

قالوا: يا رسول الله، تُكفِّل لنا بأرزاقنا فأقبلنا على العبادة.

فقال: «**إنه من فعل ذلك لم يُستجب له، عليكم بالطلب!**»[٢].

ربما يُثار سؤال في هذه الأجواء عن طبيعة التأثير الذي يمكن أن تؤديه التقوى في التنمية الاقتصادية إلى جوار العمل؟ ثم كيف يمكن تحديد هذا التأثير ومعرفته؟

ما نستشفّه من النصوص الإسلامية أن للتقوى أثرين مهمين تنهض بهما في التنمية الاقتصادية إلى جوار العمل، هما:

الأول: أن التقوى تُسبغ على العمل البركة، ومن ثم ستأتي نتائج العمل ومعطياته أعلى مما تمليه الحسابات الطبيعية، وبتعبير القرآن الكريم نفسه: ستهطل البركات الإلهية من السماء والأرض، وتحيط بالمجتمع من كل صوب[٣].

الثاني: في المواقع التي لا تفي الأسباب المادية ببلوغ المقصود وتضلّ الجهود سعيها، تطلّ التقوى على الإنسان كنافذة من الغيب وكهِبَة من السماء، فيتأمّن للإنسان رزقه بغير الطرق المادية.

على هذا، لا تعد التقوى إلى جوار العمل مانعا عن التنمية الاقتصادية، بل تدخل في عداد المبادئ القيمية للتنمية أيضاً...

على أن الحكمة الإلهية قد تقتضي أحيانا أن يصل الرزق إلى إنسان من دون عمل ويجري عليه بغير جهد؛ لكي يتعرف الناس على الرازق الحقيقي بنحو أفضل أو لأي سبب آخر تقتضيه حكمته سبحانه[٤].

مثال هذه الحالة ما تحدث به القرآن عن السيدة مريم: ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [آل عمران: ٣٧].

بيد أن هذه الحالات نادرة، وهي خاضعة للحكمة الخاصة التي تمليها، ومن ثم فإن ضرورة العمل لا تتنافى مع إيجاد دور للتقوى في بقية الموارد.

- الزهد والتنمية:

تصنف النصوص الإسلامية الزهد وما يتصل به على نحو ما - كالرضا والقناعة - في عداد مبادئ التنمية، في المقابل تنظر إلى الحرص والتكاثر بوصفهما من موانعها وآفاتها[٥]، على حين يبدو الأمر

(١) انظر: ص ١٥٠، ح ٣٨٨ و ص ١٥١، ح ٣٩٤.
(٢) انظر: ص ١٥١، ح ٣٩٤.
(٣) قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾[الأعراف: ٩٦].
(٤) انظر: ص ٣٣١ (قد يجري بغير حيلة).
(٥) انظر: ص ٣٧٣ (المبادئ الأخلاقية) و ص ٤٥٣ (الموانع الأخلاقية).

بالعكس تماما في مناخات الحضارة المادية، وخاصة في إطار المرتكزات الأخلاقية للتنمية الغربية. فما ذهب إليه ماكس فيبر في كتابه «الرأسمالية والأخلاق البروتستانتية»: أن الرأسمالية الغربية مدينة في ازدهارها إلى ذيوع الأخلاق البروتستانتية التي تشيد بتراكم الثروة واكتنازها، وتحث الناس في هذا السبيل.

أجل، ما يبدو في الظاهر أن الزهد يناهض التنمية في حين أن الحرص والتكاثر يعينان على تحققها، بيد أن الواقع ليس كذلك. لتوضيح الأمر من الضروري إلقاء نظرة فاحصة على النقطتين التاليتين:

الاولى: لتوضيح طبيعة العلاقة بين الزهد والتنمية، ينبغي قبل كل شيء تحديد مفهوم هذين المصطلحين والأهداف المتوخاة منهما، فمن جهة إذاما حصرنا مفهوم التنمية في نطاق نمو الإنتاج القومي وإحراز التقدم الفني والعلمي، ونظرنا إلى ذلك بوصفه الهدف الأعلى والغاية القصوى التي نرجوها، ثم عمدنا من جهة ثانية إلى تفسير الزهد على أساس العزوف عن الدنيا، والإحجام عن ممارسة النشاطات الاقتصادية، فلا مناص عندئذ من أن نعترف بأن الزهد ليس فقط لا يساهم في التنمية بل يعد من آفاتها أيضا. لكن إذا فسرت التنمية بمعنى أنها حالة متكاملة لازدهار طاقات الإنسان وتفجير مكنوناته في جميع مرافق الحياة، وتأمين احتياجاته المادية والمعنوية، وأن الهدف منها هو بلوغ الكمال المطلق والرسوّ على السعادة الأبدية، ثم إذا وضع الزهد في إطار معناه الصحيح، فإن الزهد عندئذ ليس فقط لا يناهض التنمية ولا ينافيها بل يدخل في عداد مبادئها الأخلاقية..

الثانية: إن تفسير الزهد بالعزوف عن الدنيا والإحجام عن العمل والفعاليات الاقتصادية، يعكس رؤية منحرفة وغير سليمة للمصطلح؛ فالمعنى الصحيح للزهد هو: عدم الرغبة في أي شيء يمكن أن يكون مانعا لتكامل الإنسان وبلوغه الكمال المطلق. والهدف منه في الدرجة الاولى هو أخذ القليل في مقابل تقديم الكثير.

فالزاهد الحقيقي من جهة: هو من يبذل قصارى جهده في مضمار الإنتاج والعمل، ولا يدخر من طاقته شيئا، وهو من جهة ثانية: من يعزف بسهولة عن الرغائب المادية في مجال الاستهلاك وعندما تحين لحظة العطاء والاستثمار الشخصي، من خلال السلطة النفسية المكينة التي يتحلى بها؛ الزاهد هو من يهب الكثير ويقنع بالقليل، وهو من يبذل للآخرين ما تناهت عسرته ومشقته، ويرضى لنفسه بالنصيب الأقل.

أما الذروة لهذا النمط من الزهاد والمثل الأعلى لهم فهو إمام الزاهدين أمير المؤمنين عليه السلام من خلال سيرته في العمل والإنتاج والاستهلاك[1].

[التنمية الاقتصادية في الكتاب والسنة]

(١) انظر: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب: ج ٩، ص٣٤٣ - ٣٧٦.

التنكيت
ابن أبي الإصبع

في مولد ابي محمد الحسن السبط
الشيخ محمد حسين الأصفهاني

نشأة الخطّ العربي
الشيخ محمد هادي معرفة

في رثاء الامام الكاظم عليه السلام
السيد محمد جمال الهاشمي

التنكيت

ابن أبي الإصبع

وهو أن يقصد المتكلم إلى شيء بالذكر دون أشياء كلها يسد مسده، لولا نكتة في ذلك الشيء المقصود ترجح اختصاصه بالذكر دون ما يسد مسده، ولولا تلك النكتة التي انفرد بها لكان القصد إليه دون غيره خطأ ظاهراً عند أهل النقد.

ومما جاء من ذلك في الكتاب العزيز قوله سبحانه: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ فإنه سبحانه وتعالى خص الشعرى بالذكر دون غيرها من النجوم، وهو رب كل شيء، لأن العرب كان قد ظهر فيهم رجل يعرف بابن أبي كبشة عبد الشعرى، ودعا خلقاً إلى عبادتها، فأنزل الله سبحانه: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ التي ادعيت فيها الربوبية دون سائر النجوم. وكقوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ فإنه سبحانه إنما خص (تَفْقَهُونَ) دون (تعلمون) لما في الفقه من الزيادة على العلم، والمراد الذي يقتضيه معنى هذا الكلام والتفقه في معرفة كنه التسبيح من الحيوان البهيم والنبات والجماد الذي تسبيحه بمجرد وجوده الدال على قدرة موجده ومخترعه.

ومن غريب التنكيت قوله تعالى: ﴿وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ فإنه يقال: لم اقتصر على ذكر الماء دون بقية العناصر التي يكون الله سبحانه المولدات الثلاث منها؟ فيقال: النكتة التي رجحت الاقتصار على الماء دون بقية العناصر قوله ﴿كُلَّ دَابَّةٍ﴾ بلفظ الاستغراق لكل ما دب، وليس في العناصر الأربعة ما يعم جميع المخلوقات إلا الماء، ليدخل الحيوان البحري فيها.

من أمثلة هذا الباب الشعرية قول الخنساء [وافر]:

يذكرني طلوع الشمس صخراً
وأذكره لكل غروب شمس

فخصت هذين الوقتين وإن كانت تذكره في كل وقت، لما في هذين الوقتين من النكتة المتضمنة تأبين الميت، والمبالغة في وصفه بالشجاعة والكرم؛ لأن طلوع الشمس وقت الغارات على العدى، ووقت غروبها وقت وقود النيران للقرى.

ومن أمثلة الباب أيضاً قول المتنبي [كامل]:

لو مر يركض في سطور كتابه
أحصى بحافر مهره ميماتها

فإنه إنما خص الميمات دون غيرها من الحروف، لكونها تشبه الحوافر من جهة استدارتها، فإن قيل: إن كان أراد تشبيه الحوافر فالعدول إلى العينات أولى، لأنها بالحوافر أشبه، ولا سيما عنده، حيث شبه الحافر بالعين، في قوله لسيف الدولة [منسرح]:

أول حرف من اسمه كتبت
سنابك الخيل في الجلاميد

قلت: يترجح ذكر الميمات دون العينات لوجهين: أحدهما أن الميمات في الكلام أكثر من العينات، لأنها تقع أصلاً وزائدة، والعينات لا تقع إلا أصلية، والثاني أنها أصغر شكلاً، واختصاص ما هو أصغر وأكثر في باب الإحصاء أمدح للموصوف بالإحصاء من ذكر ما هو أقل وأكبر وإنما مدحه بالإحصاء في حالة الركض، لأن الإحصاء يدل على ثبات الجأش وحضور الحس وعدم الدهش والطيش في وقت الركض.

ومن دقيق ما وقع في البيت من ملاءمة الألفاظ بعضها لبعض الدالة على الائتلاف قوله: مهره ولم يقل طرفه لكونه الطرف يقع على المهر، وعلى القارح فيتخلص من الاشتراك الموجب عدم الملاءمة لأن صغر حافر المهر ملائم لصغر شكل الميم، فحصل في البيت إدماج الائتلاف في المبالغة وتعليق المدح بالنبات بالوصف، وهذا من ألطف ما وقع في هذا الباب.

ومن بديع أمثلة هذا الباب قول عنترة، وهو مما يسأل عنه [كامل]:

ما راعني إلا حمولة أهلها
وسط الديار تسفُّ حب الخمخم

فيها اثنتان وأربعون حلوبة
سوداً كخافية الغراب الأسحم

فإن لفظة الحمولة تدل على الرحيل، وكذلك كونها وسط الديار وعلوفتها هذا الحب المخصوص يدل على بعد الرحلة، فإنه حب يقوي أعصاب الإبل، وهذا العدد من الحلوبات السود الصقيلة الحسان يدل على كثرة المال وانتخابه، وكذلك لا يكون إلا للملوك، فهو يدل على أن المعشوقة من بنات الملوك، وفي ذلك فخر لمن يميل إليها، والله أعلم.

[تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر]

نشأة الخطّ العربي

الشيخ محمد هادي معرفة

ليس في آثار العرب بالحجاز ما يدلّ على معرفتهم بالكتابة إلّا قبَيل الإسلام؛ والسبب في ذلك أنَّ العرب كان قد غلبَ على طباعهم البداوة، فكانوا في تِرحالٍ وارتحال، أو حروب وغارات، وكانت تَصرِفهم عن التفكّر في شؤون الصناعات، والكتابة من الصناعات الحَضرية.

لكن بعض العرب ممّن رحلوا إلى الشام والعراق في تجارة أو سفارة، جعلوا يتخلَّقون بأخلاق تلكمُ الأُمم المتحضّرة، فاقتبسوا منهم الكتابة والخطّ على سبيل الاستعارة، فعادوا وبعضهم يكتب بالخطّ النبَطي أو الخطّ السرياني، وظلّ الخطّان معروفَين عند العرب إلى ما بعد الفتح الإسلامي.

وقد تخلّف عن الخطّ النبطي الخطّ النسْخي ـ وهو المعروف اليوم ـ وتخلَّف عن الخطّ السرياني الخطّ الكوفي، وكان يسمّى الخطّ الحِيري، نسبة إلى الحيرة ـ مدينة عربية قديمة بجوار الكوفة اليوم ـ ؛

لأنَّ هذا التحوّل حصل فيها، ثمَّ بعد بناء الكوفة وانتقال الحضارة العربية إليها تحوَّل اسم هذا الخطّ إلى الخطِّ الكوفي، وظلَّ هذا الخطّ هو المعروف والمتداول بين العرب في فترة طويلة.

والخطّ النبطي -المتحوّل إلى الخطّ النسخي- تعلَّمَته العرب من حوران، أثناء تجارتهم إلى الشام، أمّا الخطّ الحيري أو الكوفي، فقد تعلَّموه من العراق، فكانوا يستخدمون القلَمين جميعاً: الأوَّل في المراسلات والكتابات الاعتيادية، والثاني للكتابات ذوات الشأن: كالقرآن، والحديث.

ودليلاً على تخلّف الخطّ الكوفي عن السريانية: أنَّهم كتبوا في القرآن (الكتب) بدل (الكتاب)، و(الرحمن) بدل (الرحمان)، وتلك قاعدة مطَّردة في الخطّ السرياني، يحذفون الألفات الممدودة في أثناء الكلمة.

جاء الإسلام والخطّ غير معروف عند العرب الحجازّيين، فلم يكن يعرف الكتابة إلّا بضعة عشر رجلاً، واستخدمهم النبي صلّى الله عليه وآله لكتابة الوحي، لكنَّه جَعل يُحرِّض المسلمين على تعلّم الخطّ حتّى نَمَوا وكثُروا.

لكن بقي الخطّان ـ النسخ والكوفي ـ هما المعروفين بين المسلمين، يعملون في تطويرهما وتحسينهما، حتّى نبغ ابن مُقلة في مفتتح القرن الرابع الهجري، وأدخلَ في خطّ النسْخ تحسينات فائقة، وهكذا بلغ الخطّ النسخيّ العربيّ ذروَته في الكمال على نحو ما هو عليه الآن.

وظلّ الخطّ الكوفي ـ على عكس ازدهار الخطّ النسخيّ وتقدّمه ـ يتدهور إلى أن هُجِر تماماً، وكُتبت المصاحف بعدئذٍ بالخطّ النسخيّ الجميل، وقد كانت تُكتب بالخطّ الكوفي نحو قرْنَين أو أكثر[1].

[تلخيص التمهيد]

(١) راجع: دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي: ج٣، ص٦٢١، وتاريخ التمدّن الإسلامي لجرجي زيدان: ج٣، ص٥٨ ـ ٦٠، والمقدّمة لابن خلدون: ص٤١٧ ـ ٤٢١، وأصل الخطّ العربي لخليل يحيى نامي: المجلّد الثالث، والخطّ العربيّ الإسلامي، لتركي عطية ص ٢٢، وانتشار الخطّ العربي لعبد الفتاح عبادة: ص١٣ ـ ١٥، ومصوَّر الخطّ العربي لناجي المصرف: ص٣٣٨، وتاريخ الخطّ العربي لمحمّد طاهر الكردي: ص ٥٤.

قال السيد محمد جمال الهاشمي (طاب ثراه)

في رثاء الامام الكاظم عليه السلام

ذكـــراك نـــور لـلـحـيـاة و نـار ... تبكى و تهتف باسمها الاحرار

يـا سـابـع الانـــوار في الافـق الـذي ... لمحمد تنمى لـه الانـــوار

و مكـافـح الـطـغـيـان لم تـلـفـح له ... نـــار، و لم يـشـهـر لـــه بـتـار

كـالـنـور يخـتـرق المـــدى بشعاعه ... فـتـنـار في امـــواجـــه الاغـــوار

او كـالـربـيـع يـبـث في نـسماته ... روحـــاً بـــه تـتـنـفس الاشـجـار

قـد كـنـت تـرسـلـها لجيلك دعـوة ... تجـري عـلى تـوجـيـهـها الابـــرار

فـتـهـز اصـنـام الـطـغـاة فتنثني ... منـهـا، وكـــل وجـــودهـــا انـكـار

لم يكفهم حكم البلاد و ما بها ... مـــن قـــوة فـيـهـا الحـيـاة تـدار

كـل المـشـارف ملكهم فلهم على ... كـل المـشـــارف شـــارة و شـعـار

دنـيـا الـرشـيـد، و أنهـا اسـطـورة ... بـفـصـولـهـا تـتـنـدر الاســـمار

لم تـعـرض الاجـيـال مثل حياتها ... أبـــداً، و لم تحـفـظ لـنـا الآثـــار

قـبـعـت في كـن يـرى في جانب ... مـنـه حـصـيـر قـد عـــلاه غـبـار

كـن اهـل الـبـيـت قـد زهـــدوا بها ... هـامـت بـه الاغـيـار و الاغـــرار

أبـا الـرضـــا و الـشـعـر يـقـصر فنه ... عـن أن تـنـال بـمـدحـه الاقـمار

لـكـن حـبـى شـافـع لي حـيـنـما. ... يـشـدو بـحـمـدك شـعـري الهـدار

هـذي مـواقـفـك الـتـي اعـجـازهـا ... كـالـفـجـر تهـدم عـرشـهـا الأغـيـار

ورأتـك سـدّاً دون مـا تـبـغـى، ومـا ... تـبـغـى فـنـاء لـلـهـدى ودمـــار

فمشى ليجلبك هارون لسجنه ... فكان سجنك عزة و فخار
أخفاك مثل الشمس تحجب، و هي ... في طاقاتها تتزود الأقطار
و السجن يصبح فيك مدرسة بها ... تتوجه اللقطاء و الأغمار
و نقلت (للسندي) أخبث فاتك ... من كيده تبترأ الأشرار
قاسيت منه نوائباً فى وصفها ... بكى البيان و تندب الأشعار
كان هارون يوجه الجزار في ... ما يرتئى، فيطبق الجزار
هل كان يحمل للنبي و آله ... ترة، و فيك ستدرك الأوتار
لم يسترح حتى صرعت بسمه ... يرعاك سجن موحش و اسار
و سرت بنعشك مثقلاً بقيوده ... و كانما هو كوكب سيار
وضعته فوق الجسر تقصد هتكه ... فئة يلطخ صفحتيها العار
صاحت عليه لكي تحط مقامه ... فسما و حلق مجده الطيار
رامت لتطفئ نوره، فاذا به ... فجر به تتمزق الأستار

«في مولد ابي محمد الحسن السبط»

آية الله الشيخ محمد حسين الأصفهاني

يهنيك يا ابا الولاة السادة ... وقادة الخلق الى السعادة

بمن تسامى شرفا ومجدا ... اخا وامّا وابا وجدا

ريحانة الطهر وروح الطاهرة ... قلب الهدى عقل العقول القاهرة

انسان عين عالم الامكان ... وبهجة الزمان والمكان

جامع شمل الحق والحقيقة ... والفرد في الخلقة والخليقة

وارث سيد الوجود من دنا ... من ربه فنال غاية المنى

فاز وجاز من مقام العظمة ... كل فضيلة وكل مكرمة

بل هو منه مثل نور الباصرة ... وعن معاليه المعاني قاصرة

باب الهدى وبيته المعمور ... من بسناه ينجلي الديجور

قبلة كل عارف رباني ... ومستجار كعبة الامانى

وبيته المنيع محور الفلك ... وبابه الرفيع مركز الملك

ما العرش ما الكرسي ما الضراح ... ببابه النجاح والفلاح

بل هو باب حطة الذنوب ... وعنده مفاتح الغيوب

باب جوامع العلوم والحكم ... باب التجليات بالمجلى الاتم

بناه بالحق يد التأييد ... على اساس العدل والتوحيد

«البشرى»

بشراك يا حقيقة المثاني ... بواحد الدهر بغير ثاني

بالحسن المنطق والبيان ... ومن حوى بدايع المعاني

من اجتباه ربه وائتمنه ... سبحان من ابدعه واتقنه

واصله مؤصل الاصول ... وفرعه جواهر العقول
وآية النور جمال غرته ... وجنة الخلد مثال وجنته
لسان صدقه بكل قيل ... حقا وصدقا منية الخليل
وروضة الدين بوجهه الحسن ... قطوفها دانية مدى الزمن
زكت ثمار العلم بالزكي ... اكرم بهذا الثمر الجني
واهتزت السبع العلى لمولده ... وطابت الارض بطيب محتده

«التهنئة والفضائل»

لك الهنا بالسيد المطاع ... يا ليث غاب عالم الابداع
سماه سيد البرايا سيدا ... كفاه فضلا لو نظرت جيدا
فهو له السمو والسيادة ... في الملكوت العيب والشهادة
اعطاه جده نبي الرحمة ... سؤدده وعلمه وحلمه
من رشحات بحر علمه الخضم ... جرت ينابيع العلوم والحكم
هو الكتاب المحكم المبين ... في لوحه التشريع والتكوين
بأمره جرى بما جرى القلم ... والامر منه امر بارئ النسم

« التسليم والرضا »

وحلمه له المقام السامي ... في حلمه ضلت اولو الاحلام
وسلمه في موقع التسليم ... من نفحات قلبه السليم
رضاه فيما كان لله رضا ... قضى على حقوقه بما قضى
وصبره العظيم في الهزائز ... يكاد ان يلحق بالمعاجز
من حلمه اصابه من البلا ... مالا تطيقه السموات العلى

تبت يدا آكلة الاكباد ... أتت برأس البغى والفساد

أتت بمن لا تكشف النساء عن ... اخبث منه في الشقاء والاحن

ما لابن هند لا ابا له أبى ... ولاية الامر لأصحاب العبا

فأشهر الحرب على الله العلي ... مذ حارب الوصي بالنص الجلي

وسنَّ سبَّ سيد الاكابر ... بغيا على الله على المنابر

وبعده عدا عنادا واعتدى ... على سليله سلالة الهدى

فاستلب الامرة بالتسويل ... عن اهل بيت الوحي والتنزيل

كيف يليق الرجس بلا مارة ... دون سليل القدس والطهارة

فلا ورب العرش لا يليق ... بمنصب الامامة الطليق

لكنه ريب الزمان ذو غير ... ساعده الغدر عليه والقدر

فانتشر الشر وشاع المنكر ... وليس للمعروف اسم يذكر

وكم وكم من حرمات هتكت ... ومن دماء زاكيات سفكت

وما جرى منه على الامام ... تنكل عنه ألسن الاقلام

وكم وكم منه تجرع الغصص ... وجرعة السم اخيره القصص

وكان سهمه عقيب رحلته ... سهام بغيهم وهتك حرمته

يا نفس

[محاسبة النفس اللوامة]

للشيخ الكفعمي

اعمري دنياك بقدر محياك،

ودبري أمر عقباك التي هي مأواك بقدر مثواك،

فما الدنيا إلا دار غرور، وجسر مرور،

فما أسخر من خيم على الجسر فلا يجوز،

وما درى أن القعود على طرقات المارة لا يجوز،

المخدوع من وضع لبنة على لبنة، والمخذول من ادخر تبنة على تبنة،

وبال المرء مال أعد، أو درهم عدد، وشقاء الغافل بيت يبنيه، ويعمره لبنيه،

فاحملي من الدنيا زاد الضرورة، واحرمي إلى الآخرة إحرام الصرورة.

واعلمي:

أن الدنيا بئر هاروت، أو نهر طالوت،

وأن الله مبتلي الخلق به فمن تبرض[1] ولم يصب ريا، شرب مريا،

ومن ارتوى، أشرف على التوى[2]،

إلا من نضح نفاضة على كبده، أو اغترف غرفة بيده.

يا نفس:

القطيعة شيمة الشرس، والغمر الذي لم يجرب الامور،

وصلة الرحم تزيد في العمر، وأصدق الصداقة طلاقة البشر الراشح،

وأفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح[3]،

وخدش القطيعة فوق الارش، والرحم معلقة بالعرش،

من طلب الخلد وشهبه، وخاف السعير وحميمه، فليواصل حميمه،

ان نسيب المرء قفار ظهره، وفقرة نهره، وبؤام جوزاته، وجزء من أجزائه..

وأعظم الجريرة سوء العشيرة، وإحراز الفضيلة في إعزاز الفصيلة،

والانسان كثير بعشائره، والحرم شريف بمشاعره، ظهره ببطنه يقوى..

---

(١) التبرض: التبلغ بالقليل من العيش.

(٢) أي الهلاك.

(٣) العدو الذي يضمر عداوته في كشحه، والكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف

يا نفس:

.. كيف النجا وقد نشبت[1] نشب الغزال في الحبالة وتنكست[2] أحوالك ؟

أما علمت أنك للموت تنكست، وللنزع تقوست ؟

وقد هاج بقلك، وماج عقلك، ونعر فيك ألف التأليف،

ولم يرفع عنك قلم التكليف، ونهزت حد الثمانين، وما بلغت محور المجانين،

أما يرعك موت الشبان لم، قبل الا بان ، ودفن الاحداث، تحت الاجداث،

أما يرعك تقديم أعمامك أمامك، وجعل أسباطك أفراطك،

فكم لك في الرمس متزعزع يافع ، وكم لك بالامس من فرط شافع،

وأنت لا تزدادين بذلك إلا ضلالة وقسوة، وجهالة وصبوة.

يا نفس:

ما أراك تتوانين عن النظر لنفسك، والتمهيد لرمسك[3]

إلا لكفر خفي أو لحمق جلي،

فأما الكفر الخفي فهو ضعف إيمانك بيوم الحساب،

وقلة معرفتك بعظيم قدر الثواب والعقاب،

وأما الحمق الجلي فاعتمادك على عفوه تعالى وستره،

من غير التفات إلى معاجلته ومكره، فلا تضيعي أوقاتك،

ولا تأسي عن ما فاتك.. فأنفاسك معدودة، وأوقاتك محدودة،

فإذا مضى منك نفس فقد ذهب بعضك، ومارت سماؤك ورخت أرضك.

شعر:

ويح ابن آدم كيف يذهب عقله ... أو يستلذ بليله ونهاره

يمسي وقد أمن الحوادث بغتة ... ولربما طرقته في أسحاره

يضحي وكف الموت في أطرافه ... كالكبش يلعب في يدي جزاره

من ليس يدري كيف تصبح داره ... من بعده فلينظرن في جاره

(١) أي وقعت وعلقت.

(٢) أي تبدلت .

(٣) أي لقبرك .